المراحل النمائية لنظرية العقل لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة (دراسة مرجعية)

إعـــداد

د/ دعاء سعيد أحمد

أستاذ مشارك – قسم الدراسات التربوية – كلية البحرين للمعلمين

جامعة البحرين – مملكة البحرين

مدرس – قسم تربية الطفل – كلية البنات للآداب والعلوم والتربية

جامعة عين شمس – مصر

dhussain@uob.edu.bh

doaasaid1970@yahoo.com

الملخـــص

تعد "نظرية العقل" من أهم النظريات المعرفية التي يجب الاهتمام بها وتنميتها لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر، وذلك نظراً لأهميتها في عملية التواصل والتفاعل الاجتماعي، وتتمثل أهمية "نظرية العقل" في زيادة قدرة الطفل على قراءة عقل الآخر وتوقع سلوكياته ورغباته ونواياه واعتقاداته، ويحاول البحث الإجابة على ثلاثة تساؤلات، وقد اعتمد هذا البحث على مراجعة و تحليل لأهم الدراسات السابقة والأطر النظرية في مجال الدراسة للإجابة عن تساؤلاته، وقد تمثلت الإجابة عن تلك التساؤلات في التعرف على المقصود بمفهوم "نظرية العقل" كقدرة معرفية هامة لدى الأطفال، كما تم التعرف على العوامل المؤثرة على نظرية العقل لدى الأطفال وتم تحديدها في العوامل الاجتماعية المعرفية، والداخلية الوراثية البيولوجية والبيئية، والانفعالية لدى الأطفال، كما تم تحديد المراحل النمائية لنظرية العقل والتي تبدأ بوادرها في العمر سنة تقريباً عندما تتوفر المثيرات الاجتماعية البيئية المناسبة المحيطة بالطفل لتنمية نظرية العقل لديه، وقد تم تحديد تلك المراحل بناءً على

الأطر النظرية والدراسات السابقة في مجال تكوين نظرية العقل.

الكلمات المفتاحية: المراحل النمائية – نظرية العقل – أطفال المرحلة المبكرة.

Stages of development of "Theory of Mind" among early childhood children

Abstract

The "theory of mind" is one of the most important cognitive theories that must be developed in young children because of its importance in the processes of communication and social interaction. The importance of this ability is to increase the child's ability to read mind of others and expect their behaviors, desires, intentions, and beliefs. The research aimed to answer three important questions: and relied on through review and meta-analysis theoretical frameworks and of previous studies to answer the questions. The first answer was to identify what is the mean of the concept of (Theory of Mind "ToM") as an important cognitive ability for children. Second, the factors affect the "theory of mind" for children were social cognitive, genetic, biological, environmental, and emotional. Third, the stages of development of "theory of mind" were also identified which begin at the age of one year when the appropriate social and environmental stimuli surrounding the child are available to develop his theory of mind. The stages of theory of mind identified through review and meta-analysis theoretical frameworks and of previous studies.

Keywords: Stages of development – Theory of mind – Childhood children.

مقدمـــة

تم تناول مصطلح "نظرية العقل Theory of Mind" (ToM) في أواخر السبعينات من القرن الماضي، وقد أصبح هذا المفهوم من أهم المفاهيم في مجال علم النفس المعرفي خلال العقود الثلاثة الماضية بل ويعد أسرعها تناولاً في البحوث التجريبية النفسية، مما أدى إلى مجموعة من التوجهات والتطورات النظرية المختلفة لهذا المفهوم، وفي بداية ظهوره فقد ظل مغلقًا بشكل غير عادي على عدد محدود من المهتمين به من الباحثين والدارسين بمجال علم النفس، وبالمقارنة مع مجموعة كبيرة من المقالات والكتب التي نشرها تلاميذ ToM، فإن الأدب النقدي في ToM محدود نوعًا ما، ويتألف من عدد قليل من المقالات والدراسات التي تتعامل مع افتراضاتها بصورة نقدية (Leudar & Costall, 2009).

ولما كان مفهوم "نظرية العقل" هو المصطلح النفسي الأكثر تناولاً في الأدب النظري فإنه يعد الآن جزءًا من أساسيات علم النفس التنموي المعرفي الاجتماعي، فمعرفتنا عن العقل تتمثل في أنه نشاط إنساني يقوم به البشر وأننا نفهم باستمرار بعضنا البعض من خلال الأفعال التي نقوم بها للتعبير عن رغباتنا ومعتقداتنا ونوايانا، فنحن لا نصدر أي سلوك من منطلق أننا مخلوقات ليس لها أنشطة عقلية بل إن الإنسان يعد من المخلوقات التي تكون نظرية للعقل خلال مراحل نموها بهدف الفهم الاجتماعي لسلوك الآخرين، بل تعد نظرية العقل لدى الطفل من أهم العمليات التي يكتسبها خلال المراحل التنموية له (Wellman, H. M., 2011; Leudar & Costall, 2009).

وأصبحت الدراسات التي أجريت بشأن نظرية العقل مرجعاً هاماً في مجال التعرف على قدرة الطفل على فهم ما يفكر به المحيطين، وأشار كل من (Premack & Woodruf, 1978) إلى أن نظرية العقل تتكون من قدرة الطفل

على فهم أفكاره وأفكار شخص آخر، حيث يمكن للطفل أن يتمكن من معرفة وجود استقلال في عمليات التفكير بينه وبين الآخر، كما أن نظرية العقل تتضمن الفهم الاجتماعي الذي يحتوي على مكونات أكثر شمولاً (ورد في: Sari, 2012, 3017).

وتناولت العديد من الأبحاث السابقة وخاصة في مجال النمو الاجتماعي مفهوم "نظرية العقل" Theory of Mind (ToM) والتي تمثل القدرة المعرفية الاجتماعية للإنسان، وتتناول مقدرة الفرد على توقع وتفسير سلوكيات الآخرين والتعرف على الاختلاف في السلوكيات بين الأفراد بعضهم وبعض، وقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن تلك العملية تشير إلى القدرات العقلية ذات الطبيعة الانفعالية للفرد ومهاراتهم في قراءة العقل بناءً على اعتقاداتهم ورغباتهم ونواياهم التي تتكون من خلال المواقف الحياتية التي يمرون بها (Blijd–Hoogewys, Van, Serra & Minderaa, 2008).

إن الأطفال الصغار في المرحلة الأولي من العمر يعرفون أكثر مما يتوقعه بياجيه عن النمو المعرفي للأطفال، ولما حاول الباحثون دراسة كيف يستطيع الأطفال معرفة الحالة العقلية للآخرين من خلال معرفة نواياهم واعتقاداتهم ورغباتهم اتضح أن النظام الاستدلالي لدى الطفل يمكنه من توقع سلوك الآخرين وحالاتهم العقلية لذا سميت النظرية بنظرية العقل Theory of Mind (الجوالدة، والإمام، ٢٠١٤). ويتكون النظام الاستدلالي لدى الطفل من خلال المواقف الحياتية الاجتماعية التي تكسبه العديد من المعارف والمفاهيم وتمكنه من الفهم الاجتماعي للمحيطين من خلال متابعة سلوكهم في المواقف المختلفة التي تتطلب استخدام الأفكار والاعتقادات لديهم، فيحاول الطفل الربط بين السلوكيات وبين ما قد توقعه الفرد قبل قيامه بهذا السلوك، لذا فقد أطلق في بداية الأمر على نظرية العقل عديد من المصطلحات ذات اللمحة الاجتماعية مثل مصطلح علم النفس الشعبي وعلم النفس البدائي وغيرها من المصطلحات الشبيهة إلى أن تم الاتفاق على إطلاق

مصطلح نظرية العقل على تلك القدرة العقلية الهامة التي يمتلكها الإنسان.

وتعتبر المواقف الحياتية الاجتماعية التي يمر بها الأطفال خلال مراحل نموهم تسهم بطريقة أو أخري في تكوين نظرية العقل لديهم، وهذا ما أدي إلي إطلاق مسميات اجتماعية سابقة لها، فقد أشارت الدراسات السابقة إلى أنه كان يطلق على نظرية العقل مصطلح "علم النفس الشعبي" حيث استند هذا المصطلح على شيوع قدرة الفرد العقلية على قراءة العقل للآخرين وإمكانية تفسيره لسلوكياتهم من خلال تعرفه أو محاولة قراءة الحالات العقلية لهم قبل أو أثناء قيامهم بسلوك ما، ومن المتوقع أن يكون أطلق هذا المصطلح لأن جميع الأفراد يحاولون باستمرار قراءة الحالات العقلية لمن حولهم للتعرف على اعتقاداتهم وتوقعهم للسلوك الذي من الممكن أن يقومون به، وربما يعزو ذلك أيضاً إلى أن جميع البشر لديهم القدرة على تفسير الاعتقادات للشخص الآخر لما يقوم به من سلوكيات (Frith, 2005; Blijd-Hoogewys & Blijd-Hoogewys, 2008).

وقد يكون الاعتقاد لدى الآخر نحو موضوع ما بالبيئة الخارجية غير صحيحة، وفي هذه الحالة يطلق عليه "الاعتقاد الخاطئ"، وعندما يفهم الطفل ما يفكر فيه الآخر من اعتقاد خاطئ يمكننا القول بأن هذا الطفل قد تكونت لديه نظرية العقل لأنه أصبح قادراً على قراءة عقول الآخرين وفهم اعتقاداتهم الخاطئة.

وتعد نظرية العقل قدرة معرفية اجتماعية هامة، وتنمو تلك القدرة بسرعة كبيرة فيما بين ٣ – ٦ سنوات من العمر، وهي تشير إلى نمو قدرة الأطفال على قراءة العقل وتتركز أهميتها في أنها تسهم في جميع الجوانب المعرفية للطفل وللآخرين وذلك لدورها الفعال في عملية الفهم الاجتماعي حيث يستطيع الأطفال فهم سلوكيات الآخرين من خلال تخيل الحالات العقلية التي يمرون بها، ومع استمرار نمو الطفل يكتسب مفاهيم مفادها أن سلوكيات الآخرين تكون مدفوعة بما لديهم من رغبات

ونوايا واعتقادات وأنه ليس من الضروري وجود مؤثرات مادية بالبيئة الخارجية للقيام بتلك السلوكيات وذلك بالرغم من أهمية تلك المؤثرات في بعض المواقف الحياتية (Blijd-Hoogewys & Blijd-Hoogewys, 2008).

ويحاول البحث الحالي تسليط الضوء على مفهوم نظرية العقل كقدرة معرفية اجتماعية لها دورها الفعال في عملية الفهم والتفاعل الاجتماعي بين الطفل والبيئة الاجتماعية المحيطة، لذا فإن هذا البحث يحاول الإجابة عن عدد من الأسئلة ذات الصلة بقدرة الطفل المعرفية "نظرية العقل" والعوامل المؤثرة فيها ومراحل تكوينها لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر اعتماداً على الأدب النظري والدراسات السابقة التي أجريت في مجال دراسة النمو المعرفي الاجتماعي للأطفال.

مشـــكلة البحـث

تتمثل مشكلة البحث الحالي في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما المقصود بنظرية العقل؟
٢. ما العوامل المؤثرة على تكوين "نظرية العقل" لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر؟
٣. ما مراحل تطور نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر؟

أهـداف البحـث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على:

١. المقصود بنظرية العقل.
٢. العوامل المؤثرة على تكوين "نظرية العقل" لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر.
٣. مراحل تطور نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر.

أهمـــية البحـث

تنبثق أهمية البحث الحالي من أهمية دراسة موضوع نظرية العقل لدى الأطفال، ففي حدود علم الباحثة فإنه على الرغم من التوسع في دراسة هذا الموضوع خلال العقود القليلة السابقة في الدراسات السابقة والأدب النظري الأجنبي إلا أن هناك ندرة إلى حد ما في تناوله على مستوى الدراسات والأدب النظري العربي.

ويكتسب دراسة موضوع نظرية العقل أهميته من أهمية تلك القدرة في التواصل والتفاعل مع الآخرين والتي تكون عاملاً هاماً في عملية الفهم والتواصل الاجتماعي التي تتم في المواقف الاجتماعية المختلفة التي يمر بها الطفل، ومحاولته فهم وتبرير ما يقوم به الآخرون من سلوكيات، إن قدرة الطفل الصغير على القيام بمهام نظرية العقل تسهم في تنمية مهاراته الاجتماعية والمعرفية للتواصل مع الآخرين، وتتضح تلك المهارات في سلوكياته التي تعتمد على قراءة عقل الآخر وتوقعاته لسلوكياتهم بناءً على توقعات نواياهم ورغباتهم واعتقاداتهم نحو موضوع ما.

وانطلاقاً من الأهمية التطبيقية لمهام نظرية العقل والتي تسهم في التواصل الفعال بين الطفل والآخرين، فقد أصبح من الهام التعرف على العوامل المؤثرة على تكوين نظرية العقل والتي تسهم في تنمية قدرة الطفل على القيام بمهامها المختلفة المتمثلة في قدرته على قراءة عقل الآخر للتعرف على نواياه ورغباته وأفكاره واعتقاداته التي توجهه للقيام بسلوك ما في الموقف الاجتماعي الذي يمر به. إن تلك العوامل تحدد خصائص نظرية العقل لدى طفل المرحلة المبكرة حيث أنها تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على تكوين نظريته للعقل، لذا يحاول البحث الحالي تحديد مراحل نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة بناءً على الدراسات السابقة والأطر النظرية في مجال النمو المعرفي الاجتماعي.

مصطلحات البحث

نظرية العقل Theory of Mind (ToM): "قدرة معرفية لدى الطفل تتكون من خلال مروره بعديد من المواقف الاجتماعية الانفعالية البيئية التي تتطلب معرفته بتوقعات ما يفكر فيه الآخرون وقيامهم بسلوك ما يعزو إلى مكونات قد تشمل نوايا واعتقادات ورغبات وانفعالات وتوقعات لديهم نحو موضوع ما بالموقف وقد تكون تلك المكونات صحيحة أو خاطئة".

أطفال المرحلة المبكرة: هم الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين (١ : ٦) سنوات من العمر.

منهجية البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال الإجراءات التالية:

١. الاطلاع على الأدب النظري والدراسات السابقة في إطار موضوع البحث الحالي.
٢. الاستفادة من الأدب النظري ونتائج الدراسات السابقة في التعرف على المقصود بنظرية العقل، العوامل المؤثرة على تكوين "نظرية العقل" لديهم، ومراحل تطور نظرية العقل لدى الأطفال.
٣. عرض توصيات ومقترحات البحث.

الدراسات السابقة

دراسة كل من (Flavell; Mumme; Green & Flavell , 1992)

وهدفت إلى تقصي نمو الأنواع المختلفة لفهم الأطفال عن الاعتقادات، وتكونت العينة من أطفال عمر (٣ : ٥) سنوات، وتم عرض قصص مختلفة على الأطفال وتم إخبارهم قبل عرض القصص عليهم بأن شخصيات تلك القصص لديهم معتقدات مختلفة عن اعتقاداتهم أو مختلفة عن بعضهم البعض، ولا يتمثل هذا الاختلاف في أنواع المعتقدات الخاطئة عن الواقع المادي ولكن الاختلاف يشمل أيضاً الأخلاق، والعرف المجتمعي، والقيم، وملكية الأغراض، وبينت النتائج في جميع أنواع

المعتقدات المذكورة أن معظم الأطفال من عمر (٣) سنوات لديهم صعوبة في فهم أن موقف الآخرين يعزو إلى المعتقدات الخاطئة لديهم فيما عدا الملكية فإنهم كانوا يفهمون المعتقدات الخاطئة بها وفي الأحيان الأخرى لا يفهمونها بالرغم من إخبارهم بشكل متكرر فيما قد يعتقده الطفل الآخر بالقصة. وبالإضافة إلى ذلك أشارت النتائج إلى وجود علاقات متبادلة موجبة وجوهرية في مختلف أنواع المهام الخاصة بالمعتقدات.

دراسة مقابلة (٢٠٠٤) وهدفت إلى التعرف على تطور مفهوم "نظرية العقل" لدى الأطفال في الفئات العمرية من (٣ : ٦) سنوات وعلاقته بالتفكير التباعدي والذكاء، وتكونت عينة الدراسة من (١٢٠) طفلاً من أطفال الحضانة ورياض الأطفال في مدينة عمان، وتم تطبيق ثلاثة أدوات للدراسة لجمع المعلومات والبيانات وهي اختبار الاعتقادات الخاطئة ومقياس تورانس للتفكير الابتكاري (الجزء اللفظي) ومقياس ستانفورد بينيه لذكاء الأطفال، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات الفئات العمرية المختلفة على اختبار الاعتقادات الخاطئة لصالح الأطفال الأكبر سناً، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين أداء أفراد عينة الدراسة على اختبار الاعتقادات الخاطئة والعمر الزمني لدى الفئة العمرية متوسط العمر (٤.٥) سنوات كما توصلت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أداء أفراد عينة الدراسة الذكور والإناث على اختبار الاعتقادات الخاطئة والتفكير التباعدي.

دراسة كل من (Blijd–Hoogewys; Van; Serra & Minderaa; 2008) والتي هدفت إلى قياس نظرية العقل عند الأطفال، والتعرف على الخصائص النفسية لنظرية العقل ToM لدى الأطفال العاديين ومقارنة تلك الخصائص بنظيرتها بالأطفال الذين يعانون من طيف التوحد وذلك باستخدام أدوات ذوات مصداقية وموثوقية عالية وذلك بناءً على أن البحث في نظرية العقل (ToM)

غالبًا ما يعتمد على نفس المقاييس الهامة باختلاف فئات الأطفال، وتم استخدام القصص المقننة لقياس تطور نظرية العقل لدى الأطفال باعتبارها من أهم الأدوات المستخدمة في قياس مستوى وخصائص نظرية العقل لديهم، وتكونت العينة من (٣٢٤) من الأطفال العاديين ممن يتراوح أعمارهم من (٣ : ١٢) سنة و (٣٠) طفل من عمر (١١) سنة ممن يعانون من اضطراب طيف التوحد، وتم تقديم ٣٤ مهمة قصصية لجميع الأطفال (العاديين، التوحديين) لتسجيل مختلف الانفعالات والاعتقادات والرغبات العقلية–البدنية، وقد تم التحقق من معاملات الصدق والثبات لأدوات البحث المستخدمة بخمس طرق مختلفة، وتوصلت النتائج إلى أنه يمكن استخدام كتب "القصص" في قياس "نظرية العقل" بالبحث مع الأطفال العاديين كما أنه يمكن استخدامها مع الأطفال ممن يعانون من حالات طبية بيولوجية (التوحديين) وإمكانية الكشف بواسطتها على مستويات وخصائص "نظرية العقل" لدي جميع فئات الأطفال (العاديين، التوحديين) بنفس الكفاءة.

دراسة كل من **(Lu, Su, & Wang, 2008)** حيث هدفت إلى التعرف عن تسهيل تكوين نظرية العقل من خلال استخدام الإشارات والحديث عن الآخرين لدى الأطفال الصينيين الذين هم في مرحلة ما قبل المدرسة، حيث تم إجراء دراستين طولية وتدريبية لإظهار أن استخدام الإشارات مع الآخرين تيسر تطور مهام نظرية العقل (ToM) لدى الأطفال الصينيين، بالإضافة إلى أنه يمكن تدريب هؤلاء الأطفال على نفس المهام من خلال الحديث عن الآخرين وذلك بسرد القصص المختلفة عنهم، **وفي الدراسة الأولى –** تكونت العينة من ٥٢ طفل من الأطفال الصينيين الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ و ٤ سنوات، وتم اختبار نظرية العقل والذاكرة الذاتية (AM) لديهم، وتم قياس نظرية العقل لدى الأطفال في سن ٣ سنوات ولكنهم قد فشلوا بالقيام بمهام الاعتقاد الخاطئ التي كلفوا بها، وبعد عام واحد تبين أن أطفال المجموعة التي فشلت في البداية في مهام الاعتقاد الخاطئ قد نجحوا في اجتياز مهام الاعتقاد الخاطئ بعد ازدياد استخدامهم للإشارات التواصل مع الآخرين، **في الدراسة الثانية** – أظهر أطفال ما قبل المدرسة الذين تم تدريبهم على التحدث عن

الآخرين من خلال سرد القصص عنهم تحسنًا في مهام نظرية العقل.

دراسة (Sung, 2008) وهي دراسة طولية هدفت إلى التعرف على مساهمة العمليات النشطة الخاصة بالتواصل الفعال بين الأم والطفل وعلاقته بالاختلافات الفردية في نظرية العقل لدى الأطفال في الجوانب الجسمية العاطفية، ويتفرع من الهدف الرئيس هدفين فرعيين، هما: الهدف الأول – دراسة أساليب التواصل التعاوني الفردية للأم والطفل عندما يكون عمر الطفل (٢.٥) سنة وارتباطها بالاعتقادات الخاطئة لدى الأطفال في عمر (٤) سنوات. الهدف الثاني – دراسة أساليب التواصل التعاوني المتبادلة بين الأم والطفل بناءً على التسلسل المنطقي والموضوعي للأفعال اللفظية وغير اللفظية بينهما وارتباطها بنمو نظرية العقل لدى الأطفال، وتكونت العينة من (٧٩) طفلاً (٤٢ ذكور) وأمهاتهم، وتم جمع البيانات أولاً عندما كان عمر الأطفال (٢.٥) سنة وعندما كان لديهم (٤) سنوات من العمر، وفي عمر (٢.٥) سنة انخرط الأطفال الصغار وأمهاتهم في التظاهر باللعب في أنشطة التعليم واللعب بالدمى، أما في سن (٤) سنوات تم اختبار الأطفال بشكل فردي لفهم الاعتقادات الخاطئة في المجالين العاطفي والجسمي، وتوصلت الدراسة إلى تواتر أفعال التواصل التعاوني الشاملة للأطفال الصغار التي لوحظت في عمر (٢.٥) سنوات تنبأ بفهم الاعتقاد الجسدي، ولكن ليس العاطفي، أما الأطفال في عمر (٤) سنوات فقد تفوقوا الأطفال في أداء مهام الاعتقاد الخاطئ الجسدي مقارنة بالعاطفي، كما تبين أن الاستخدام المتكرر لكل من الأمهات والأطفال الصغار لأفعال التواصل التعاوني للتأكيد والدعم والمصطلحات المعرفية المتضمنة في أعمال التواصل التعاوني، تنبأ بزيادة درجات الاعتقاد الجسدي وليس العاطفي على درجات الاعتقاد الخاطئ، وأخيراً كانت مساهمة التواصل التعاوني للأطفال الصغار في فهم المعتقدات الخاطئة الجسدية والعاطفية كانت مستقلة عن أمهاتهم

دراسة الصادق (٢٠١٢) التي هدفت إلى دراسة العلاقة بين نظرية العقل والمستويات النمائية لدى الأطفال العاديين، وتكونت العينة من الأطفال فيما بين (٥ : ١٣) سنة، وتم استخدام اختبار موضوعي مقنن لنظرية العقل وتكون من مجموعة من البنود القصص والصور الفوتوغرافية، وأسفرت النتائج عن وجود دلالة إحصائية بين نظرية العقل والمستويات النمائية لدى الأطفال، كما تم الحصول على تدرج لمستويات "نظرية العقل" لدى الأطفال وفقاً لأعمارهم الزمنية، وكذلك توصلت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين الأعلى والأقل في العمر الزمني.

التعليق على الدراسات السابقة

اتضح من الدراسات السابقة بأن مهام نظرية العقل يمكن قياسها والتدريب عليها من خلال استخدام الأدوات والوسائل والأساليب المختلفة بالإضافة إلى استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية عند مرور الأطفال بعديد من المواقف الحياتية واستخدام المثيرات البيئية المختلفة، وقد أكدت تلك النتائج كل من دراسة (Flavell; Mumme; Green & Flavell , 1992; Blijd–Hoogewys, Van, Serra & Minderaa, 2008; Lu, Su, & Wang, 2008). كما توصلت دراسة كل من (Blijd–Hoogewys, Van, Serra & Minderaa, 2008) إلى أن الأطفال العاديين يتفوقون في نظرية العقل مقارنة بنظرائهم من غير العاديين مثل الأطفال التوحديين وممن يعانون من الإعاقة السمعية، وأكدت تلك النتائج كل من دراسة. وقد أكدت دراسة كل من (الصادق، ٢٠١٢، مقابلة، ٢٠٠٥؛ Sung, 2008) على تطور نظرية العقل لدى الأطفال وفق تسلسل العمر الزمني حيث توصلت إلى أن تكوين نظرية العقل تبدأ في النمو لدى الأطفال في بداية مرحلة الطفولة المبكرة وتتطور وفق التسلسل الزمني من خلال مرور الأطفال بالمواقف الاجتماعية والانفعالية المعرفية التي يمرون بها.

الإجـابة على تسـاؤلات البحـث

التساؤل الأول: ونصه "ما المقصود بنظرية العقل؟".

تم صياغة مصطلح "نظرية العقل" في السبعينيات وذلك كأحد المتغيرات الرئيسية أو القدرات الهامة ذات الصلة بالجانب العقلي للفرد، إن الإطار النظري الأساسي لهذه النظرية هو تطوير للفلسفة المعرفية وخاصة لمفهوم "علم النفس الشعبي"، وقد أصبحت هذه القدرة تُعرف باسم "قراءة العقل" أو "العقلية"، ويُنظر لها الآن على نطاق واسع بأنها ضرورية لكل من الموائمة بين التفكير الذاتي والموقف الاجتماعي. والسبب وراء استخدام مصطلح "النظرية" هو أن الفهم الذاتي يُزعم أنه إنجاز نظري، يشارك الفرد فيه ببناء واستخدام نظرية "theory " عن طبيعة العقول "nature of minds"، إن تطبيق مثل هذه النظرية على السلوك الملاحَظ "الظاهري" تنادي باستطاعة الفرد الملاحِظ تفسير نوايا الفرد الملاحَظ من خلال مشاهدة سلوكياته (Leudar & Costall, 2009; Frith, 2005). وبمعنى آخر فإن التعرف على الحالات العقلية الكامنة للآخرين في موقف ما يتم من خلال مشاهدة سلوكياتهم في هذا الموقف.

كما أشار كل من (Blijd-Hoogewys & Blijd-Hoogewys, 2008) أنه خلال السنوات السابقة تمت الإشارة إلى (نظرية العقل) بمصطلحات عديدة، ومنها: الوعي بمشاعر الآخرين، وعلم النفس الشعبي، والاستعانة بالآخرين من ذوي الخبرة المباشرة، وعلم النفس البدائي، والموضوعية الذاتية، والأداء التمثيلي، وعلم نفس الرغبة-الاعتقاد، وعلم النفس الطبيعي، وعلم النفس الحسي العام، والمرجعية الاجتماعية، والمشاركة المفاهيمية، وقراءة العقل، والمحاكاة العقلية، والذكاء الاجتماعي، وإدراك النوايا، والمسبب العقلي، ونظرية السلوك العقلي، ونظرية تمثيل العقل، وبالرغم من جميع تلك المصطلحات فإن المصطلح الأكثر شيوعاً في هذا

الشأن هو "نظرية العقل" "Theory of Mind "ToM.

وقد تناولت الدراسات السابقة موضوع نظرية العقل كعملية أو كقدرة مستقلة أو رئيسية في مجال القدرات المعرفية، ويعد فهم الأطفال للحالات العقلية للآخرين أو تكوين "نظرية العقل" لديهم من أهم الموضوعات في مجال النمو المعرفي التي تم دراستها بشكل مكثف، وقد ركزت تلك الدراسات السابقة على دراسة نظرية العقل لدى الأطفال الصغار وخاصة القيام بمهمة واحدة لفحص فهمهم للاعتقاد الخاطئ (Wellman & Liu, 2004).

ومع ذلك، يعتقد العديد من الباحثين أن تطور نظرية العقل لدى الطفل يتضمن فهم عدد من المفاهيم المختلفة التي اكتسبها الطفل خلال سلسلة ممتدة من الخبرات التي مر بها، مما أدى إلى تركيز دراسات نظرية العقل على جميع المعلومات والبيانات التي تخص فهم الأطفال الصغار للنوايا والعواطف والرغبات والمعرفة والحالات الأخرى. وأشار كل من (Wellman & Liu, 2004) إلى ضعف عدد الدراسات السابقة التي تناولت بشكل تجريبي نمو مفاهيم الأطفال المختلفة وأثرها على تكوين نظرية العقل، ومن النتائج الهامة التي توصلت إليها الدراسات السابقة أن فهم الأطفال للرغبات يسبق فهمهم للاعتقاد الخاطئ.

وتتألف نظرية العقل من ملاحظات تعبيرات الوجه ولغة الجسد والحركة الواعية أو المقصودة وتلك الاستراتيجيات تضمن للفرد التنبؤ بالسلوكيات التظاهرية للأشخاص الآخرين، كما أن فهم وتذكر الأفكار والمعتقدات والرغبة والمشاعر والاستعارات والآثار المترتبة على التواصل مع الآخرين هي أمور مهمة للغاية في التنمية الاجتماعية للأطفال، ولقد طورت نظرية العقل من أجل التعرف على نمو قدرة الطفل على إدراك أن لدى الآخرين عقل مختلف عن عقله، وأفكار تختلف عن أفكاره، ولديهم قدرات تختلف عن قدرته، وأن مدركاتهم تختلف عن مدركاته حيث تتضمن تلك المدركات الأهداف والاعتقادات والإيمان أو الرغبات، كما أن الآخرين قادرين على تمثيلها عقلياً (Sari, 2012).

واتفقت عديد من الدراسات السابقة على أن مفهوم نظرية العقل (ToM) هي القدرة على الاستدلال والتنبؤ بالنوايا والأفكار والرغبات والحدس وردود الفعل السلوكية وخطط واعتقادات الآخرين من خلال الوعي بأن كل من الآخرين لديهم عقل بحالات عقلية مختلفة، وهذا يعزو إلى أن المعلومات والدوافع الشخصية تختلف من شخص إلى آخر، وبالتالي فإن العمليات التي تشكل نظرية العقل تشتمل على قدرات: **التحول** (أي مشاركة أو عدم مشاركة الانتباه عن مجموعات المهام المختلفة)، **والتحديث** (أي مراقبة المعلومات الجديدة واستبدالها بالقديمة غير ذات الصلة بتلك المعلومات الجديدة)، **والإعاقة** (أي منع الردود الكثيرة أو التلقائية عند الضرورة)، وبالتالي فإن نظرية العقل توضح أنه يجب أن يكون المرء قادرًا على تمثيل الحالات الذهنية المعرفية والعاطفية، وإسناد تلك الحالات العقلية للذات والآخر، وتطبيق هذه الحالات العقلية بأسلوب يسمح للفهم والتنبؤ بسلوك الآخر بشكل صحيح (Mitchell & Phillips, 2015; Scholl & Leslie, 1999).

وقد تختلف نظرية العقل من طفل لآخر حيث تتكون لديه أفكار عن قراءة عقل الآخر والتي قد لا تتماشى مع الحقيقة الواقعة، وأشار الباحثون في مجال الاعتقادات بأننا ندرك نظرية العقل على أنها تمثل الحالات العقلية لاعتقادات الآخر والتي قد تختلف عن اعتقادات غيره نحو نفس الموضوع، وذلك وفق ما يقوم بملاحظته للمحيطين به في البيئة المحيطة، وقد تختلف أيضاً لما يظهره هؤلاء المحيطين من سلوكيات مما يعني أن سلوكيات أي شخص قد تعمل على اختلاف اعتقادات الفرد الملاحِظ لسلوكه، وقد تناولت عديد من الدراسات السابقة مفهوم "الاعتقاد الخاطئ" لكونه من أهم مكونات نظرية العقل في محاولة لتفسير هذا المفهوم باعتباره محور نظرية العقل لدى الفرد، وبينت الدراسات أن الأطفال من عمر (٣ : ٥) سنوات يجدون صعوبة في التعرف على الاعتقاد الخاطئ (Flavell; Mumme; Green & Flavell, 1992).

إن معظم الدراسات والبحوث السابقة في مجال نظرية العقل تركزت على الاعتقادات الخاطئة False Belief (FB) حيث يقصد بها الخطأ في التنبؤ فيما سيفعله الشخص الآخر بينما يعتقد الطفل أن هذا الشخص الآخر لديه معتقدات أو تصور خاطئ عن الحدث أو الموقف (Blijd-Hoogewys; Van; Serra & Minderaa; 2008).

ويعرف (Cheung & et al. 2009) مفهوم الاعتقاد الخاطئ بأنه (تمثيل عقلي يختلف عن الحالة الواقعية) وأساسه أن الطفل قد تشكلت لديه مواقف أو اتجاهات نحو تمثيل العالم الخارجي كما يدركها الآخرون وليس العالم الحقيقي نفسه، وعندما يستطيع الطفل معرفة أن الأفراد يسلكون بطريقة خاطئة نتيجة وجود اعتقادات خاطئة لديهم فإن الحالة العقلية تكون قد تمثلت لديهم (ورد في: محمود، ٢٠١٧، ٤٦٩)

إن الأطفال الصغار يواجهون صعوبة في فهم الاعتقاد الخاطئ، وقد أكدت الدراسات على أهمية تسهيل مهام الاعتقاد الخاطئ من خلال تعرض الأطفال لبعض المواقف الحقيقية التي تقدم لهم نماذج سلوكية مختلفة توضح مفهوم الاعتقاد الخاطئ، وقد تم اعتماد هذا الأسلوب في تقديم المهام للأطفال لأنه يتميز بالجاذبية ولفت الانتباه، ولكن بالرغم من أن الأطفال وجدوا أن تلك المواقف شيقة وجاذبة حيث استطاعوا تذكر عديد من المواقف إلا أنهم فشلوا في فهم الاعتقاد الخاطئ لدى شخصيات المواقف أثناء إجراء التجارب الخاصة به (Moses & Flavell, 1990).

كما أظهرت دراسة كل من (Wellman & Liu, 2004) أن أطفال ما قبل المدرسة يظهرون فهمًا للرغبات والنوايا تسبق فهم الاعتقادات، وبصفة خاصة يدرك الأطفال أن شخصين يمكن أن يكون لهما رغبات مختلفة لنفس الشيء قبل أن يدركوا أن شخصين يمكن أن يكون لهما اعتقادات مختلفة حول نفس الشيء، كما أظهر الأطفال فهمًا للاعتقادات المتنوعة قبل الاعتقادات الخاطئة، وبمعنى آخر أن الأطفال يمكن أن يحكموا على أنهم وشخص آخر يمكن أن يكون لديهم اعتقاد

مختلف عن اعتقاد شخص آخر لنفس الموقف وذلك قبل أن يعرف الطفل أي اعتقاد منهما صحيح وأيهما خطأ، كما أظهرت النتائج أن التفريق بين العاطفة الحقيقية (التي يشعر بها الفرد) والظاهرة (التي تظهر في سلوك الفرد) يأتي في نهاية مرحلة ما قبل المدرسة.

وتعد مرحلة ما قبل المدرسة من المراحل التي يتطور فيها عديد من القدرات العقلية وعلى رأسها قدرة الطفل العقلية في فهم الحالة العقلية للآخر، وأشار كل من (Wellman & Liu, 2004) أننا لا نقوم بتضمين مهام الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية second-order false-belief حيث أن تلك المهام يكتسبها الطفل بانتظام خلال سنوات الدراسة المبكرة ويحدث ذلك عادة بعد اكتسابه مهمة الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الأولي first-order false belief، حيث أن دراسة نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر يتم من خلال المهام المصممة التي يقوموا بها بهدف تقييم فهمهم للرغبات والعواطف والمعرفة والاعتقادات للشخص الآخر.

وتتعلق مهام الأطفال الخاصة بنظرية العقل بكلا النوعين من الاعتقادات الأول والثاني، ويقصد بالاعتقاد الخاطئ من الدرجة الأولى أنه عندما يتمكن الطفل من التعرف على أن للآخر اعتقادات تختلف عن اعتقاداته الشخصية، على سبيل المثال: أن أحمد لديه اعتقاد مختلف عن اعتقادي الخاص فيما يخص مكان اللعبة.

ووفق الدراسات السابقة فإن مهام الاعتقاد من الدرجة الأولى تتركز على فهم الطفل بأن الأشخاص المختلفين لديهم أفكار مختلفة حول نفس الموقف، ويطلق على تلك المهام اختبارات من الدرجة الأولى لأنها تنطوي على استنتاج الحالة العقلية لشخص آخر غير الطفل نفسه، ومن المهام المقدمة في بعض اختبارات الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الأولي first-order false belief تتمثل في فهم الطفل

لاعتقاد شخص آخر حول موقف عند تفسير القصص المعروفة مثل ذات الرداء الأحمر Little Red Riding Hood أو سنو وايت Snow White، فالأطفال في سن (٤) سنوات يقولون أشياء مثل أن "ذات الرداء الأحمر تعتقد أن جدتها في السرير، لكن في الحقيقة الموجود في السرير هو الذئب الشرير" أو أن سنو وايت "تعتقد أن المرأة العجوز تعطي لها تفاحة لطيفة، إنها لا تعرف أن زوجة والدها الشريرة كانت ترتدي ملابسها وأن التفاحة مسمومة"، وقد أظهرت عديد من الدراسات السابقة أن الأطفال في عمر الرابعة تتبع كيف قد يفكر الأشخاص المختلفون في أشياء مختلفة عن العالم (مقابلة، ٢٠٠٤; Baron-Wellman & Liu, 2004; Cohen, 2001).

بعد ذلك تبدأ نظرية العقل تتطور لدى الطفل ويتكون لديه الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية حيث يقصد به معرفة أن لدى شخص ما اعتقاد خاطئ عن أفكار شخص آخر وهو نمو متطور من نظرية العقل يصل إليه الطفل في نهاية مرحلة ما قبل المدرسة.

ولقد ظهر إجماع قوي بين الباحثين على أن نظرية العقل لدي الأطفال الصغار بأنهم يصبحون قادرين أولاً على التعرف على الحالات العقلية للآخرين مثل التعرف الاعتقادات لدي الآخرين في سن الرابعة تقريبًا وهو اعتقاد من الدرجة الأولى، كما لوحظ أن الأطفال لديهم القدرة على إسناد الحالات العقلية من الدرجة الثانية أو المضمنة (على سبيل المثال، "أنها تعتقد أنه يُفكر..") تضفي على الأطفال القدرة على فهم ليس فقط نظر الشخص إلى الموقف الاجتماعي (أولاً – التفكير المنطقي من الدرجة الأولي) ولكن أيضًا قلق الأفراد الآخرين حول الحالات العقلية لدى غيرهم (الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية)، وهذه الأنواع من السمات هي التي تكمن وراء الكثير من تفكيرنا الاجتماعي والتي تعد ضرورية لأي فهم متطور للسلوك الإنساني (Sullivan, Zaitchik & Tager-Flusberg, 1994; Vesterinen, 2008).

وتتمثل مهام النوع الثاني من الاعتقادات الخاطئة second-order false belief في اختبارات الدرجة الثانية على أطفال ما قبل المدرسة، ومن التجارب الكلاسيكية التي أجريت في هذا الشأن هي التجربة التي أجراها كل من (Perner, et al., 1987) حيث تم رواية قصة للأطفال الذين يتراوح عمرهم بين (٣ : ٥) سنوات لطفل يترك بعض الشوكولاتة في درج ما، وبينما هو بعيد تقوم والدته بنقلها إلى خزانة أخرى، وبعد ذلك سئل الأطفال "عينة البحث" بعض الأسئلة، ومنها: ما اعتقاد الأطفال نحو مكان الشوكولاتة؟ وأين يجب أن يبحث عنها الطفل؟، وبينت النتائج أن الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين (٤ : ٥) سنوات كانت إجابتهم صحيحة على الأسئلة وهي أن الأطفال سوف يبحثون في المكان الذي تركوا فيه الشوكولاتة، أما الأطفال ذوي عمر (٣) سنوات أجابوا إجابة خاطئة وهي أن الطفل سوف يبحث عن الشوكولاتة في الخزانة (ورد في: Flavell; Mumme; Green & Flavell, 1992, 960).

إن التعرف على الحالة العقلية للآخر تعد من أهم عمليات نظرية العقل وتتمثل أولاً في فهم الطفل للرغبات والنوايا والعواطف ثم التعرف على الاعتقادات لدى الآخرين نحو مواقف حقيقية معينة وهذه القدرة بطبيعتها تعرف بأنها عملية ما وراء التمثيلات Meta-Representation وهي تمثل قدرة الطفل حول المواقف الافتراضية حيث تعمل تلك التمثيلات على محاولة الطفل تكوين أفكار حول معتقدات ونوايا واعتقادات الآخر، ومن ثم تنمو قدرة الطفل على التعرف على التباين في الرغبات والنوايا والعواطف والاعتقادات التي تتكون لنفس الموقف لدى شخصين، أي أنه تتطور نظرية العقل لدى الطفل ليصبح قادراً على التعرف على أنه يمكن أن يكون لدى شخصين رغبات أو نوايا أو اعتقادات مختلفة لنفس الشيء أو لنفس الموقف (Wellman & Liu, 2004; Scholl & Leslie, 1999).

ويفترض أن هناك ثلاثة مستويات للقدرات التمثيلية لدى الأطفال والتي تساعدهم على تكوين نظرية العقل، وهي (الصادق، ٢٠١٢؛ Perner, 1998):

- المستوى (١) – مسؤول عن عملية تشفير المعلومات وبناء "القاعدة المعرفية".
- المستوى (٢) – استخدام "القاعدة المعرفية" من خلال اللعب التمثيلي أو التظاهري والتمييز بين ما هو متخيل وحقيقي.
- المستوى (٣) – تنمو قدرة الطفل على جعل تمثيلاته الخاصة تنعكس على تفكيره.

ويطلق على تلك القدرة في المستوى الثالث "ما وراء التمثيلات"، وفي هذا الوقت يستطيع الطفل تطبيق تلك التمثيلات على العناصر المختلفة بالبيئة المحيطة "ما وراء التمثيلات Meta Representations"، وفي هذا المستوى يمكن القول بأن الطفل أصبح لدية نظرية للعقل TOM.

ويمكننا تعريف عملية ما بعد التمثيلات Metarepresentation بأنها قدرة التفكير الخاصة بالحالة العقلية نحو تمثيل المكونات المختلفة بالعالم المحيط، وقد أشارت الأدبيات في إطار نظرية العقل إلى أنه هناك العديد من الآراء المتباينة حول أنواع السلوكيات التي يمكن اعتبارها دليلاً على وجود أفكار ما بعد التمثيلات لدى الطفل، على سبيل المثال: في التحليل النظري للعب التمثيلي فإن فعل التظاهر بأن الشيء هو شيء مختلف عما هو عليه بالفعل (مثال – أن الموز هو هاتف) يتطلب مراقبة العلاقة بين تمثيلين (أي تمثيل الموز في العالم الحقيقي وتمثيل الموز كهاتف)، وقد أشارت الدراسات إلى أن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين و ٦ أشهر يتمتعون بمهارة كبيرة في عملية التظاهر أو التمثيل (Sabbagh & Callanan, 1998).

عندما يسمع الطفل ذو السنتين عاماً هاتف حقيقي يرن، فإن الأطفال الذين تظاهروا سابقًا بأن الموزة هاتف لن "يخطئوا" بالاستجابة للموزة في الرد على التليفون

مما يشير إلى أنه قد يكون لديهم تقدير متطور إلى حد ما للحالات العقلية، كما أن الأطفال في عمر ٣ سنوات يمكنهم التعبير عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأشياء الحقيقية والأشياء العقلية (على سبيل المثال، يمكن إخفاء دراجة حقيقية تحت السرير، ولكن لا يمكن ذلك مع الدراجة العقلية)، وبهذا فإن أطفال الثالثة يكون لديهم وعي ببعض الجوانب التمثيلية للحالات العقلية، وبالتالي قد يكونون قادرين على ما بعد التمثيلات قبل سن أربعة سنوات (Sabbagh & Callanan, 1998).

أما بياجيه فقد ركز على جانبين مستقلين لفهم العقل، وهما: فهم طبيعة الأنشطة/الكيانات العقلية مثل الأفكار والأحلام، واستخدام التفكير النفسي لتفسير تصرفات المحيطين، على سبيل المثال: كيف تفسر الأفعال البشرية بناء على تفسير نوايا ورغبات الإنسان، وفيما يتعلق بالكيانات العقلية فقد نادي بياجيه بأن أطفال ما قبل المدرسة "واقعيين" يفكرون في الكيانات العقلية ككيانات مادية ملموسة أو محسوسة، على سبيل المثال: إن أطفال تلك المرحلة يعتقدون أن الأحلام التي تساورهم هي صور موضوعية موجودة بالفعل ويمكن للآخرين مشاهدتها، وفيما يتعلق بالاستدلال النفسي فقد جادل بياجيه بأن الأطفال الصغار غالباً ما يفسرون الواقع وفق ما يرونه هم وكما لاحظوه وأحسوه وليس وفق كما هو موجود في الواقع بالفعل (Wellman, 2002).

ومن هذا المنطلق الذي أيده بياجيه فإن الأطفال الصغار قد لا يستطيعون التعرف على خلفية ما هو وراء أفعال الآخرين وبمعنى آخر فإن الأطفال قد يخطؤون في التعرف على مقاصد الآخرين من أفعالهم أو أن الطفل في المرحلة المبكرة قد يخطئ في توقعات تصرفات الآخرين، ويمكن القول بأن ما وراء التمثيلات قد تولدت نتيجة لتعرض الكائن الحي لمثير ما في البيئة المحيطة حيث يعد هذا المثير محفز للقيام بسلوك غير محدد مسبقاً، ويمكن اعتبار أن تلك التمثيلات العقلية (ما وراء التمثيلات) تعد حلقة وسيطية بين المحفز الخارجي (المثير) وبين السلوك أو النشاط

الذي يقوم به الفرد (تمثيلات أولية ذات هدف ما) وبهذا يكون الفرد لدية نظرية للعقل حيث أنه يستطيع تحديد ما يتعرض له من مؤثرات مما يتطلب منه القيام بسلوك ما يتناسب مع هذا الموقف الطارئ الذي يتعرض له والذي لم يكن محدد مسبقاً.

وتعرف نظرية العقل بأنها "قدرة يستخدمها الفرد لتحديد المشاعر والإعزاءات والنوايا الحقيقية الكامنة وراء التعبيرات والسلوكيات من خلال مجموعة محددة من الميكانيزمات المعرفية التي تعمل معاً لوصف الحالات العقلية للآخرين" (الصادق، ٢٠١٢، ٢١٦). كما تعرف نظرية العقل على أنها القدرة على تقديم استدلالات عن الآخرين وتوقع سلوكياتهم، كما أنها تعني قدرة الطفل على عزو الحالات العقلية المختلفة إلى نفسه والآخرين، فتلك القدرة العقلية مطلوبة في جميع المواقف الحياتية لتوقع سلوكيات الآخرين من محاولة التعرف على النوايا والاعتقادات والرغبات الخاصة بهم (الجوالدة، ٢٠١٣).

ويمكن تعريف "نظرية العقل" على أنها "قدرة معرفية لدى الطفل تتكون من خلال مروره بعديد من المواقف الاجتماعية الانفعالية التي تتطلب معرفته بتوقعات ما يفكر فيه الآخرون وقيامهم بسلوك ما يعزو إلى مكونات قد تشمل نوايا واعتقادات ورغبات وانفعالات وتوقعات لديهم نحو موضوع ما بالموقف وقد تكون تلك المكونات صحيحة أو خاطئة".

وبعد التعرف على مصطلح "نظرية العقل"، فإنه من الهام أن نتعرف على بعض العوامل المؤثرة على تكوين تلك النظرية لدى أطفال المرحلة المبكرة، والتي تسهم في تنمية قدراته للتعرف على الحالات العقلية للآخرين وفهمها وتفسيرها لتقع سلوكياتهم في موقف ما نحو موضوع ما.

التساؤل الثاني: ونصه "ما العوامل المؤثرة على تكوين نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر؟".

إن تعايش الطفل مع الآخرين يتطلب قدرات اجتماعية ومعرفية تؤهله للتعامل

معهم بالمواقف الحياتية التي يمرون بها معاً، ومدركات الطفل الاجتماعية تعزز التفاعل بينه وبين الآخرين، كما أنها تسهم في التعرف على مدركات الآخرين لعناصر البيئة المختلفة، ويكمن الإدراك الاجتماعي لدى الأطفال كما أشار إلي (Astington & Edward, 2010) في قدرته في التعايش مع الآخرين ورؤية الأشياء من وجهة نظرهم، فأساس هذه القدرة الحاسمة في العلاقات الاجتماعية والمواقف الاجتماعية المختلفة تتمثل في تكوين نظرية العقل لدى الطفل.

ومن هذا المنطلق تعد نظرية العقل ذات دور محوري في تنمية قدرة الطفل على الوعي بالأفراد المحيطين بالبيئة الاجتماعية، حيث أن تلك القدرة تمنح الطفل على التواصل السليم والتعرف عما قد يفكر فيه أو يعتقده الآخرون، وقد أشار (أبو دنيا، وأحمد، وعمرو، ٢٠٢٠) أنه عندما تتكون لدى الطفل نظرية العقل فإنها تساعده على التعرف على كيفية تفسير الأشخاص للأحداث واستنتاج انفعالاتهم، وبالتالي فإن نظرية العقل تصبح ضرورة لا غنى عنها في عمليات التواصل والتفاعل الاجتماعي، كما أن الأطفال يتكون لديهم فهم أو إحساس خاص يستطيعون من خلاله قراءة عقول الآخرين.

لذا فإن نظرية العقل تعد من صميم المهارات الحياتية اليومية التي يمارسها الطفل حيث إنه لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تساعده على تفسير عديد من المواقف الاجتماعية التي قد يتعرض لها هذا بالإضافة إلى أن نظرية العقل توضح للطفل ما قد يتوقعه الآخرون في عديد من تلك المواقف التي يمرون بها معاً. وهناك عديد من العوامل التي يمكن أن تؤثر على تكوين نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة، ومن هذه العوامل ما يلي:

أولاً: العوامل الاجتماعية المعرفية المؤثرة على نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر:

تعد عملية التواصل الاجتماعي من أهم العمليات التي يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات وخاصة لتميزه باستخدام وفهم اللغة المنطوقة وغير المنطوقة، وقد أشارت الدراسات إلى أهمية استخدام اللغة في المواقف الحياتية التي يمر بها الطفل وأثرها في تطوير القدرات العقلية لديه. وقد أشار كل من (الشهري، والخوالدة، ٢٠٢٠) أن التواصل الاجتماعي يعد عملية مشاركة وتفاعل بين الطفل والآخرين في المواقف الاجتماعية من خلال استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية والتي تمكنه من فهم سلوكيات الآخرين، وتتكون المواقف الاجتماعية من مرسل ومستقبل في زمن ووقت محددين ويتم فيها عملية التواصل الاجتماعي من خلال تبادل المشاعر والأفكار بين كلا الطرفين مقرونة بالفهم والإدراك والتقبل.

ويعتبر النمو اللغوي من أهم مظاهر النمو لدى الطفل حيث تعد اللغة وسيلة التواصل والتفاهم بين الطفل والآخرين، لذا فإنها تعتبر من أهم الوسائل التي تسهم في التعرف عما يجول في عقل الآخرين سواء كانت اللغة لفظية معبرة عما يفكر أو يرغب أو ينوي فعله الآخر، أو قد تكون اللغة غير لفظية حيث يتم استخدام الإيماءات والإشارات المختلفة للتعبير عن الحالة العقلية، وفي كلتا الحالتين يتدرب الطفل خلال المواقف الحياتية ومواقف اللعب الكثير عن قراءة الحالات العقلية للآخرين، بالإضافة إلى محاولة تعرف الطفل أثناء المواقف المختلفة عما يجول بعقل الآخر لمحاولة تفسير المحادثات والسلوكيات التي تظهر منه، وعندما تبدأ تلك القدرة في التكوين لدى الطفل ففي هذا الوقت يمكننا القول بأن نظرية العقل بدأت تتكون لديه.

ويستلزم النمو اللغوي متابعة التطورات والكفايات التي يكتسبها الطفل، وذلك يتم من خلال تفاعل الأطفال مع الآخرين في مرحلة الرضاعة، فالطفل ذو العامين يتحدث عن رغباته ومشاعره في حين أن الطفل ذو ٣ – ٤ سنوات يتحدث عن

أفكاره حيث يبدأ في التعبير بالكذب أو بالتحايل (Wellman, H. M., 2011). وكما يتحدث الطفل عن نفسه من خلال ما يظهر منه من سلوكيات مع الآخرين أثناء مواقف اللعب أو المواقف الحياتية يبدأ الأطفال الآخرين في التعرف عن حالاته العقلية هنا تبدأ أيضاً تتكون لديهم نظرية العقل، وهكذا فإن الأطفال يتدربون على تكوين نظرية العقل من خلال عمليات التعلم التي تتم أثناء مرورهم بمواقف الحياة الحقيقية أو مواقف اللعب والتي يستخدمون فيها تخيلاتهم وتوقعاتهم وقراءتهم للعقل للحالات العقلية للآخرين.

إن أهم التفسيرات الأولية الخاصة بنظرية العقل تتمثل في قدرة الطفل على فهم أفكار الآخر وتنمية التواصل الاجتماعي معه، وفسرت نظرية العقل بعض الصعوبات الاجتماعية والتواصلية التي يمكن أن تواجه الطفل في السنوات الأولى من العمر، وتتمثل تلك الصعوبات فيما يتعلق بوضع أنفسهم في قوالب الآخرين حيث يكون عاجزاً عن فهم ما يفكر أو يشعر به شخص آخر (Sari, 2012).

وهناك اتفاق على مظاهر نمو نظرية العقل لدى الأطفال بالرغم من وجود اختلافات جذرية بين المدركات والخصائص التي تسهم في اكتسابها وكيفية تكوينها لديهم، ويتفق العديد من دارسي تلك النظرية على أنها تتطور نتيجة لعملية التعلم حيث تعد كناتج من نواتج العملية التعلمية، وقد توصلت الدراسات السابقة إلى أن عملية التعلم هي أهم العوامل المؤثرة في اكتساب "نظرية العقل" لتكون ناتج من نواتج تراكم الخبرات السابقة والحالية، ومن الجدير بالذكر أن الرأي السائد في هذا الأمر هو أن الخبرة الذاتية هي التي تحدد معالم نظرية العقل المتطورة لدى الطفل، ومثل هذا التطور في النظرية يحدث في المرحلة المبكرة من حياة الطفل لمروره بعديد من الخبرات والمواقف التي تتطلب استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية، مما يسهم في نمو قدراته اللغوية والعقلية المعقدة، ويعتبر نمو تلك القدرات ونظرية العقل من أهم مظاهر النمو المعرفي في مرحلة الطفولة المبكرة (Wellman, 2011).

واتفقت أراء كل من (Leudar & Costall, 2009) بأن اكتساب الطفل لنظرية العقل يبدأ في السنوات الأولي من العمر، حيث يتحقق ذلك مع مرور الوقت باكتسابه اللغة التي تساعده في التواصل الاجتماعي مع الآخرين في المواقف الحياتية، وقد اتفقت جميع الدراسات السابقة على أن الاختلافات التنموية المعرفية بين الأطفال تعزو إلى الاختلاف في طرق وأساليب اكتساب نظرية العقل لديهم.

وقد أكدت نتائج الدراسات السابقة أن السنوات التي تبدأ فيها ملاحظة اكتساب نظرية العقل تراوحت بين سن الثالثة والرابعة، وأشارت بعض تلك الدراسات إلى أهمية التواصل بين الطفل وباقي أفراد الأسرة وذلك لأن الحياة الاجتماعية والحوارات التي تجرى مع الطفل تعزز نمو مهاراته الاجتماعية مما يسهم في اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين الذي يؤثر بدوره على نظرية العقل لديه (Sari, 2012).

وتؤثر بعض العوامل الاجتماعية المحيطة بالطفل على معدل التطور النموذجي لنظرية العقل لديه: على سبيل المثال ، يظهر الأطفال وعيًا مبكرًا بالحالات العقلية إذا تحدثت أمهاتهم عن الأفكار والرغبات والمشاعر، وقدموا أسبابًا عند تصحيح سوء السلوك الصادر منهم بناءً على نظرية العقل لديهم، كما أن الأطفال الذين لديهم إخوة يدركون الحالات العقلية للآخرين في وقت قريب مقارنة بذويهم من الأطفال ممن ليس لديهم إخوة، كما وجد أن معدل التطور يتأثر بمشاركة الكبار أطفالهم في اللعب التمثيلي، وزيادة خبراتهم في قراءة القصص والتحدث مع الآخرين، وتؤثر العوامل الداخلية للطفل على معدل تطور القدرات اللغوية والقدرات المعرفية التي تتحكم في سلوكه وتنظمه وتلك تعرف بـ (الوظائف التنفيذية) (Astington & Edward, 2010).

وقد تناولت الدراسات السابقة العلاقة بين الجوانب الاجتماعية الأخلاقية ونظرية العقل والاعتقاد الخاطئ، وفي دراسة كل من (Flavell; Mumme; Green & Flavell , 1992) والتي هدفت إلى تقصي نمو الأنواع المختلفة لفهم الأطفال عن الاعتقادات فقد تكونت العينة من أطفال عمر (٣ : ٥) سنوات، حيث

عرض على الأطفال قصص مختلفة، وتم إخبارهم قبل عرض القصص بأن شخصيات تلك القصص لديهم اعتقادات مختلفة عن اعتقاداتهم أو مختلفة عن بعضهم البعض، ولا يتمثل هذا الاختلاف في أنواع الاعتقادات الخاطئة عن الواقع المادي ولكن الاختلاف يشمل أيضاً الأخلاق، والعرف المجتمعي، والقيم، وملكية الأغراض، وبينت النتائج في جميع أنواع الاعتقادات المذكورة أن معظم الأطفال من عمر (٣) سنوات لديهم صعوبة في فهم موقف الآخرين ويعزو ذلك إلى الحالة العقلية الخاصة بالاعتقادات الخاطئة فيما عدا الملكية فإنهم كانوا يفهمون الاعتقادات الخاطئة بها، وفي الأحيان الأخرى لا يفهمونها بالرغم من إخبارهم بشكل متكرر فيما قد يعتقده الطفل الآخر بالقصة. وبالإضافة إلى ذلك أشارت النتائج إلى وجود علاقات متبادلة موجبة وجوهرية في مختلف أنواع المهام الخاصة بالاعتقادات.

وقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن تلك النظرية تستمد أهميتها من احتياجات الطفل في الفهم الكامل للبيئة الاجتماعية المحيطة حتى يظهر سلوكيات مناسبة في المواقف الاجتماعية المختلفة التي يمر بها، كما تعد نظرية العقل ضرورة أساسية لدى الطفل لفهم البيئة الاجتماعية بشكل كامل حتي يستطيع القيام بالسلوكيات الاجتماعية المناسبة في المواقف الاجتماعية التي يمر بها (Blijd-Hoogewys, & etc. 2008; Blijd-Hoogewys & Blijd-Hoogewys, 2008).

وتعتبر نظرية العقل ذو أهمية كبيرة في التنمية الاجتماعية للطفل حيث أن أي ضعف في اكتسابها قد يؤدي مباشرة إلى ضعف المهارات الاجتماعية، وقد أكد ذلك كل من (Baron-Cohen & at. al., 1985) حيث أشارت دراستهم إلى أن الأطفال التوحديين يعانون من التواصل مع المحيطين بسبب تدني مستوى نظرية العقل لديهم، ولهذا فقد تناولت العديد من البحوث والدراسات السابقة تلك العلاقة المتبادلة بين قدرة الطفل على التفاعل مع الآخرين ونظرية العقل لديه، حيث اتفقت

نتائج تلك الدراسات على أن نظرية العقل التي يكونها الطفل تسهم في تنمية مهاراته الاجتماعية وتدعم طرق التواصل والفهم الاجتماعي بينه وبين الآخرين بالبيئة المحيطة (ورد في: E. Blijd-Hoogewys, P. van Geert & M. Serra & R. Minderaa, 2008).

ولأهمية العلاقة بين العوامل الاجتماعية وأثرها على تكوين نظرية العقل لدى الطفل فقد انضمت عديد من النظريات البديلة للفهم الاجتماعي في العقود الأخيرة من القرن الماضي مع مفاهيم نظرية العقل واستخدمت للتفسيرات الخاصة بالحدث الاجتماعي وكيفية الاستفادة منه، لذا فقد تم تضمين تلك النظريات تحت مصطلح "نظرية العقل"، وأشار المهتمين من الباحثين والدارسين لهذا الموضوع إلى أن استخدام مصطلح نظرية العقل ضعيف، لذا فقد أطلق البعض منهم مصطلح نظرية "نظرية العقل" TToM بدلاً من "نظرية العقل"، ومن مبررات إطلاق هذا المصطلح أن قدرتنا على التفكير العقلي تعتمد على التمثيلات الدماغية للافتراضات التي تشكل نظرية السلوك والتي يشار لها بأنها (نظرية النظرية Theory Teory) (Leudar & Costall, 2009; Frith, 2005).

كما أن المواقف الاجتماعية تتضمن عناصر متعددة قد تسهم في تكوين نظرية العقل لدى الأطفال، وتتمثل في الآتي (Blijd-Hoogewys & Blijd-Hoogewys, 2008):

- الجانب الهام للتفاعل الاجتماعي: تفسير وتوقع سلوكيات الآخرين.
- للتواصل: تقييم الحالة المعرفية للمستمع والاستجابة بالرسائل المناسبة للموقف.
- للسرد: التعرف على ما وراء الرموز المستخدمة في التواصل لفهم الدوافع والنوايا والرغبات والمعتقدات.

وتتطور نظرية العقل تدريجيًا مع ظهور مهارات اجتماعية بديهية لدى الأطفال الرضع حيث ينعكس أثر تلك المهارات على تطور الإدراك الاجتماعي

خلال سنوات الحضانة ورياض الأطفال، أما الأطفال في عمر الثالثة فإنهم يعرفون أن الأشخاص المختلفين قد يشعرون ويرغبون ويحبون أشياء مختلفة. وفي سن الرابعة أو الخامسة، يعرف الأطفال أن الناس قد يفكرون بأشياء مختلفة، ويفهمون أنه في بعض الأحيان قد يؤمن الشخص بشيء غير صحيح، ولكن في هذه الحالة، فإن ما يفعله أو يقوله الشخص يعتمد على الاعتقاد الخاطئ (Astington & Edward, 2010).

وهناك اختلافات في معدل التطور النموذجي لنظرية العقل التي تعتمد جزئيًا على العوامل البيئية الاجتماعية، مثل الحديث العائلي والاستراتيجيات التربوية، والتفاعل مع الأشقاء، والكتب والقصص واللعب التخيّلي، بالإضافة إلى عوامل الخاصة بالطفل، مثل التحكم في القدرات اللغوية والمعرفية، كما أن هناك عواقب خاصة بتطور نظرية العقل تظهر في الكفاءة الاجتماعية للأطفال ونجاحهم في المدرسة (Astington & Edward, 2010).

وقد يؤدي تعدد الخبرات البيئية الاجتماعية التي يمر بها الطفل إلى تعدد المواقف التفاعلية التي تحدث بينه وبين الآخرين والتي تسهم في إكسابه عديد من الأفكار نحو سلوك الآخر وعن الاعتقادات والتوقعات والأفكار الخاصة به، والتي تصبح دافعاً له للقيام بسلوك ما في موقف ما، ومع تكرار وتعدد تلك المواقف الاجتماعية يؤدى ذلك إلى تنمية مدركات وفهم الطفل نحو ما يفكر به الآخرون في المواقف الاجتماعية المختلفة، مما يسهم في فهمه الاجتماعي لتلك المواقف، ومع تراكم الخبرات الحياتية الاجتماعية التي يمر بها الطفل وزيادة فهمه الاجتماعي عن المحيطين فإن ذلك يعمل على دعم وتطور نظرية العقل لدى الطفل.

لذا فإن نظرية العقل تمثل إحدى النظريات المعرفية التي لاقت اهتماماً في الآونة الأخيرة، وهي تمثل أداة اجتماعية قوية لفهم الطفل واستيعاب الطفل

للانفعالات والحالات العقلية الخاصة بالآخرين وتفسير سلوكياتهم وأفعالهم والتنبؤ بها مما ييسر عملية التفاعل الاجتماعي في المواقف الاجتماعية المختلفة (حماد، ٢٠١٧).

يتضح مما سبق بأن كفاءة نظرية العقل تسهم في نمو المهارات الاجتماعية لدى الطفل، وعادة يتم افتراض أن أقوي وظيفة لنظرية العقل لدى الطفل تتمثل في تسهيل التفاعل الاجتماعي بينه وبين الآخرين، وبنظرة عكسية فإن التفاعل والتواصل الاجتماعي يدعم اكتساب الطفل لنظرية العقل وذلك لإتاحة الفرصة له لاكتساب خبرات اجتماعية متنوعة مما يساعده على زيادة قدرته على قراءة عقل الآخر وفهم سلوكياته. ومن هذا المنطلق فإن نظرية العقل قد تؤثر على العلاقات الاجتماعية والاعتقادات الأخلاقية والتي قد تكون ذات صلة بالتواصل الاجتماعي والتفاعل مع الآخرين وقبول سلوكياتهم أو عدم قبولها والحكم على مناسبة تلك السلوكيات أو عدم مناسبتها في المواقف الاجتماعية التفاعلية المختلفة بين الأفراد بعضهم وبعض مما يدعم التفاعل الإيجابي بين الطفل وعناصر شبكة العلاقات الاجتماعية ببيئته الاجتماعية.

ثانياً: العوامل الوراثية البيولوجية والبيئية المؤثرة على نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر:

إن العوامل الوراثية لها دور كبير في تحديد المستويات الأساسية لإمكانيات الطفل العقلية حيث يختلف الأطفال فيما بينهم في تلك العوامل، ويأتي بعد ذلك دور البيئة المحيطة التي تؤثر بدورها في تنمية أو إعاقة النمو العقلي للطفل. فالبيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المنخفضة تعمل بصورة أو أخرى على إعاقة النمو العقلي لدى الطفل، فتلك البيئة لا توفر للطفل الإمكانيات والمثيرات البيئية التي تعمل على دعم قدراته العقلية وتشبع احتياجاته الخاصة في تلك المرحلة المبكرة من العمر، لذا فإنها تعتبر بمثابة الحاجز الذي يمنع قدرات الطفل العقلية من الانطلاق ليصل إلى أقصى مستوي يمكن أن تصل إليه، وعلى العكس من ذلك فان البيئة

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المرتفعة تدعم نمو القدرات العقلية لدى الطفل لما توفره له من مثيرات وعوامل داعمة لاكتساب الخبرات المختلفة التي تعمل على تنميه شتي القدرات العقلية لديه وذلك من خلال توفير الخبرات البيئية الحسية المختلفة التي يكتسبها الطفل وتسهم تلك الخبرات في التعرف الاجتماعي والبيئي للطفل بما تحتويه من عناصر بشرية ومادية، كما أن علاقته بالكبار المحيطين يهيئ له العديد من مواقف التعلم التي يكون من خلالها نظريته للعقل.

ولقد أشارت الدراسات السابقة إلى أهمية العوامل الداخلية المؤثرة على نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة، وتتمثل تلك العوامل في العامل الوراثي، فقد تم الإشارة إلى وجود وحدة بيولوجية في عقل الإنسان مسؤولة عن "آلية نظرية العقل" Theory of Mind Mechanism (ToMM)، وهذا التطور في النظرية أضاف بأن العقل البشري مزود بوحدة خاصة وتلك الوحدة هي التي تساعد في النمو الطبيعي للطفل وتجعله قادر على التعرف على الحالات العقلية غير المرئية للآخرين، وتلك القدرة تعد من أهم الغرائز المعرفية الاجتماعية التي تتكون نتيجة التفكير والتفاعل الاجتماعي مع عناصر البيئة الاجتماعية المحيطة (ورد في: Leudar & Costall, 2009).

كما أشار (Flavell, 2004) إلى أن "آلية الوحدة العقلية ToMM" فطرية وهي التي تؤسس لتنمية نظرية العقل حيث تهيئ للطفل القدرة على تمثيل المواقف الافتراضية التي يفترضها الطفل، فطفل الثالثة عند قيامه بعملية ما بعد التمثيلات، ثم تتطور فيما بعد قدرة نظرية العقل لديه من خلال الموارد البيئية المختلفة التي تزوده بالقدرة الموجهة على التعرف على ما وراء سلوكيات الآخر حيث يبدأ في التعرف على حالات الآخر العقلية.

أما (Fodor, 1987) فيرى أن الطفل يولد وهو مزود بوحدات معالجة

فاعلة تتطور خلال الطفولة بفعل التعلم والتفاعل مع الخبرات، ويري أن نظرية العقل عبارة عن وحدة معالجة عقلية (Module) محددة وراثياً، وهي نموذج فطري ينشط حول الثالثة من العمر بفعل النضج والتفاعل مع الخبرات، كما أن قدرة الأطفال على فهم سلوك الآخرين ومعرفة نواياهم ومقاصدهم لا تخضع لعوامل البيئة فقط، وإنما تخضع أولاً للأساس الفطري الوراثي للطفل ثم يكمن دور المثيرات البيئية والخبرات في أنها تعمل على تنشيط هذا الاستعداد وبروزه في ظل ظروف بيئية اعتيادية (ورد في: مقابلة، ٢٠٠٤، ١١).

إن الأساس الوراثي لدي الطفل بالإضافة إلى الشبكة الاجتماعية التي يكونها الطفل مع أفراد المجتمع داخل وخارج الأسرة تمكنه من اكتساب الخبرات المتنوعة والمتعددة والتي تؤثر على تنمية قدراته العقلية، وقد أشارت نظريات التكوين العقلي إلى أن القدرات العقلية لدى الطفل هي حصيلة تفاعل إمكانيات الطفل البيولوجية والعقلية مع البيئة للحصول على المعارف والخبرات من خلال السياق البيئي والاجتماعي المحيط (الحريري، ٢٠١٣).

فاستعداد الطفل البيولوجي يساعده على اكتساب نظرية العقل حيث أن تعرض الطفل للمواقف الحياتية المختلفة خلال مراحل نموه الأولي تسهم في تعلمه قراءة أفكار الآخرين نتيجة لملاحظة سلوكياتهم بالتوافق مع حدوث تلك المواقف الحياتية التي يتعرضون لها، وأوضح (الجوالدة، ٢٠١٣) أن نظرية العقل تساعد الطفل خلال مراحل حياته المختلفة في تفسير المعلومات الأولية التي يحصل عليها من البيئة الاجتماعية، وتساعده أيضاً في تخمين وتوقع الأحداث الجديدة التي يتعرض لها، ووفق هذه النظرية يتمكن الطفل فيما بعد من القيام بتنبؤات حول سلوك الآخرين ورغباتهم وفهم التمثيلات المعرفية لذاته وللآخرين.

كما أشار كل من (Astington & Edward, 2010) إلى أن نظرية العقل تعد نظام ذو جذور بيولوجية يتطور بدون تعليم محدد، فقدرة الطفل على استخدام اللغة أو النطق يرتبط إلى حد بعيد بالجوانب البيولوجية أما تعلم القراءة والكتابة فهو

يرتبط بالعوامل البيئية المحيطة المساعدة التي تسهم في تعلم الطفل القراءة أو الكتابة، كما أن نظرية العقل هي أساس للفهم الاجتماعي لدى الأطفال والتي تتطور لديهم خلال السنوات الأولى من العمر وتوفر لهم أساس للالتحاق بالمدرسة.

وتعد قدرة الطفل على التمييز العقلي–الجسدي هو حجر الزاوية الأساسي في تكوين نظرية العقل لديه، وهذا لا يتم تدريسه صراحة من قبل الآباء أو المعلمين أو الكبار، ولكنه يتم من خلال المواقف العقلية–الجسدية المصاحبة للسلوك، ويمكننا التعرف على قدرة الطفل على التمييز العقلي–الجسدى من خلال اختبارات المواقف والتي فيها يستمع الطفل إلى قصص يكون فيها أحد الشخصيات يمر بتجربة عقلية (على سبيل المثال: التفكير في كلب) بينما يكون لدى الشخصية الثانية تجربة جسدية (على سبيل المثال: حمل كلب)، ثم يطلب من الطفل أن يحكم على العمليات التي يمكن للشخصيتين القيام بها (على سبيل المثال: أي شخصية يمكنها أن تضرب الكلب؟)، وبينت الدراسات أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (٣ و ٤) سنوات لديهم إمكانية إصدار بعض الاستجابات التي توضح إظهار فهمهم الجيد للتمييز الأنطولوجي بين الكيانات البدنية والعقلية والمواقف الحياتية (Baron–Cohen, 2001).

وقد أشار كل من (Flavell; Mumme; Green & Flavell, 1992 إلى أن نظرية العقل لدى الأفراد تتضح من خلال تعليقاتهم، ويستطيع الآخر التعرف على نظرية العقل لدى الأفراد المحيطين من خلال التفسير العقلي للشبكة المترابطة من الاعتقادات والرغبات والنوايا والجوانب العقلية الأخرى والتي يكونها الطفل من خلال مروره بالخبرات البيئية المختلفة، وعلى سبيل المثال: فإن الشخص المتسوق في السوبر ماركت يمكن أن يشعر بنوايا متسوق آخر بجانبه ويفهم المشاعر السيئة لهذا المتسوق الآخر عندما لا يجد السلعة التي يرغب بشرائها، وهكذا فإن الفرد يستطيع فهم سلوكيات الآخرين من خلال عملية التفكير والفهم التي يقوم بها في

محاولة منه لفهم نواياهم ورغباتهم واعتقاداتهم.

وهكذا فإن ملاحظة الطفل للعناصر البيئية بالموقف الذي يمر به شخص آخر وإن لم يكن يعرف هذا الشخص فإن ذلك يسهم في تعرفه على توقع سلوك الآخر وذلك من خلال محاولة فهم الانطباعات الداخلية للآخر مما يؤهله للتعرف عما يفكر فيه وما قد يتوقع أن يقوم به من سلوك، ومما لاشك فيه أن تكرارا الخبرات البيئية مع الآخرين ومحاولة ربط عناصر البيئة المحيطة مع ما يقوم به الأفراد من سلوكيات يسهم في تكوين نظرية العقل لدى الطفل ليصبح لديه القدرة فيما بعد على توقع سلوكيات الآخرين عند المرور بموقف ما لزيادة قدرته على قراءة أفكارهم ونواياهم ورغباتهم وتوقعاتهم.

ولمعرفة السبب الذي ينطوي على تمثيلات النوايا المسبقة للفعل وما وراء التمثيلات فمن الأفضل مقارنة فعل الطفل مع أفعال وسلوكيات الآخرين غير مسبقة النوايا، ويمكن القول بأن جميع السلوكيات هي أنشطة لخدمة أهداف الفرد، وبالرغم من ذلك فإن تحقيق الطفل للهدف لا يحتاج باستمرار إلى التمثيلات العقلية، فقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن البحث عن الهدف أو تحقيق هدف معين قد يكون بسبب وجود مثير بيئي محفز حيث يبدأ الطفل في إظهار السلوك كرد فعل لتعرضه لهذا المثير، وهكذا يعتبر المثير البيئي محفزاً للقيام بالسلوك حيث لا يكون هناك أي تمثيلات عقلية سابقة النوايا أو مقصودة أو متعمدة لدى الطفل (Perner, 1998).

وقد أوضحت الدراسات السابقة تحسناً في أداء الأطفال الذين تم تدريبهم على رواية القصة على اختبار نظرية العقل (ToM) (Lu , Su & Qi, 2008). وبناءً على نتائج تلك الدراسات ومن منطلق الخصائص التنموية لمرحلة الطفولة المبكرة فإننا يمكن أن نقوم بتدريب الأطفال على تكوين نظرية للعقل من خلال إثراء البيئة المحيطة بالألعاب المختلفة بالإضافة إلى إثراء الخبرات الاجتماعية الواقعية أو التمثيلية من خلال القصص والمسرحيات واللعب التمثيلي والتي تستلزم منهم التفكير فيما وراء سلوكيات لتلك الشخصيات أي قراءة عقولهم، وذلك بهدف التعرف عما

يمكن أن يكون لديهم من نوايا ورغبات وأهداف وأفكار توجههم للقيام بالسلوكيات التي يقومون بها، وبتعدد المواقف الواقعية والتمثيلية يمكننا مساعدة الطفل على تنمية نظرية العقل لديه.

وأكد كل من (Astington & Edward, 2010) على أن العوامل البيئية وأنشطة اللعب المختلفة تؤثر على تطور نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة حيث يمكن تعزيزها بالفرص الآتية:

- المشاركة في مسرحية تخيلية.
- التحدث عن أفكار الناس ورغباتهم ومشاعرهم وأسباب تصرفهم بالطريقة التي يتصرفون بها بالفعل.
- الاستماع للقصص والتحدث عنها، خاصة تلك التي تنطوي على مفاجآت وأسرار وحيل وأخطاء، والتي تدعو الأطفال إلى رؤية الأشياء من وجهات نظر مختلفة (على سبيل المثال: ذات الرداء الأحمر لا تعرف أن الذئب يرتدي زي الجدة).

وأثبتت الدراسات إلى أن أطفال مرحلة ما قبل المدرسة يظهرون تفوقاً في مهام نظرية العقل من خلال تدريبهم على مهام نظرية العقل واستخدام الإشارات والتلميحات عند التواصل مع الآخرين، بالإضافة إلى أن مهمة التحدث عن الآخرين من خلال سرد القصص عنهم تدعم قدرات نظرية العقل لديهم (Lu, Su, & Wang, 2008). وهذا يرجح إمكانية تدريب الأطفال على مهام نظرية العقل من خلال استخدام استدعاء الخبرات السابقة واستخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية في أنشطة اللعب المختلفة مثل الأنشطة القصصية والمسرحية وأنشطة اللعب الإيهامي أو لعب الأدوار وغيرها من الأنشطة المختلفة التي تعد بمثابة تدريب الأطفال على مهام نظرية العقل.

إن تطور لغة الطفل تسهم في تكوين نظرية العقل لدى الأطفال حيث يساعد نمو اللغة التطوري لدى الطفل على الاستفادة بدرجة ملحوظة من إثراء البيئة المحيطة به بالألعاب اللازمة لأنشطة اللعب المختلفة، وأكدت الدراسات السابقة على أهمية اللغة في تنمية نظرية العقل لدى الأطفال، فقد بينت نتائج دراسة (Astington & Jenkins, 1999) إلى أن دعم المهارات اللغوية يسهم في تكوين نظرية العقل لدى الأطفال ممن هم في عمر ٣ سنوات، حيث استخدمت الدراسة اختبار تطوير اللغة المبكرة لدى الأطفال، وتم تقييم نظرية العقل من خلال قيام الأطفال ببعض مهام الاعتقاد الخاطئ، وقد تنبأت النتائج بوجود دعم للقدرات اللغوية على تكوين نظرية العقل لدى الأطفال.

فهناك علاقة موجبة قوية بين نظرية العقل والمهارات اللغوية لدى الأطفال، وأكدت الدراسة على أهمية دعم اللغة لدى الأطفال الصغار واستخدام عديد من أنشطة اللعب مثل رواية وقراءة القصص والروايات لهم لدعم وتنشيط نظرية العقل لديهم، إن أطفال الثالثة قد يظهر لديهم دلائل على تكوين نظرية العقل ويرجعون ذلك إلى بدء قدرة الطفل في هذا العمر على اللعب التظاهري وفهم تظاهر الآخرين، كما أن هؤلاء الأطفال يمكن أن يدركون مقاصد الآخرين حيث يمكنهم قراءة نظرات الآخر وفهم بعض الكلمات الدالة بالموقف المقصود للتعرف والاستدلال على نوايا والاعتقاد الخاطئ لدى الآخرين، ويهتم علماء علم نفس النمو بدراسة مهام الاعتقادات الخاطئة لأنه من أهم المهام الدالة على تكوين نظرية العقل لدى الأطفال بالرغم من عدم قدرتهم في بعض الأحيان والذي قد يعزو إلى صعوبة المهام الموكلة إليهم من قبل المهتمين بدراسة نظرية العقل في التجارب الخاصة بدراسته، أما أنشطة اللعب المتنوعة وإثراء البيئة المحيطة بالمثيرات والمحفزات المختلفة فهي تعد من أهم المؤثرات على تطور نظرية العقل لدى الأطفال (Blooma & German, 2000; Charman & Shmueli-Goetz, 1998).

ثالثاً: العوامل الانفعالية المؤثرة على نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر:

إن الأطفال العاديين لا يولدون ولديهم نظرية للعقل بل أنهم يطورونها عند بلوغ الرابعة من العمر من خلال المرور بالمواقف والخبرات الاجتماعية المختلفة، وأنهم ينجحون في قراءة العقل لأن العمليات الفكرية لديهم تكون مشابهة لمن حولهم من الأفراد (الإمام، والجوالدة، ٢٠١٠).

أضافت نتائج دراسة (Sung, 2008) معلومات جديدة إلى الأدبيات التي تسلط الضوء على الروابط التنموية بين الوظائف العملية للتواصل التعاوني بين الأم والطفل ونظرية تطور العقل لدى الأطفال، حيث تم التأكيد على أن مواقف التواصل التعاوني بين الأم والطفل يتم التنبؤ فيها بفهم الأطفال للاعتقاد العاطفي الخاطئ، وتدعم النتائج فكرة أن الجانب الواقعي لاستخدام اللغة يرتبط بنظرية نمو العقل لدى الأطفال الصغار في كلا المجالين البدني والعاطفي، كما أكدت الدراسة على أن المواقف التعاونية بين الطفل والأم يمكن أن تنبؤنا عن فهم الأطفال للمعتقدات الجسدية الخاطئة.

إن هناك عديد من الطرق والأساليب التي يمكن أن يستخدمها القائمون برعاية الطفل لتنمية نظرية العقل لديه، وبينت العديد من الدراسات السابقة على أهمية توعية المسؤولون عن تربية الطفل باستخدام أساليب التربية المناسبة معهم لتجنب ضعف نظرية العقل لديهم وذلك حتي تنمو نظرية العقل لديهم وفق التطورات التنموية المتوقعة لمرحلة الطفولة المبكرة، فقد أكد كل (Astington & Edward, 2010) من أنه يجب توعية الآباء ومسؤولي الرعاية ببعض الإرشادات التي قد تؤدي إلى ضعف نظرية العقل لدى الأطفال، مثل الافتقار إلى اللعب التظاهري، أو عدم المشاركة في الاهتمامات والتي قد تؤدي إلى عدم تطور نظرية العقل لدى الأطفال بالطريقة النموذجية.

إن الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين (٤ : ٦) سنوات يكون لديهم نظرية العقل وأنهم يستطيعون التعرف على فهم الأسباب الخاصة بالاعتقادات والتي تؤدي إلى مشاعر وأحاسيس مختلفة، كما أن هؤلاء الأطفال يمكنهم التعبير عن تلك الحالات النفسية باستخدام عدد من الكلمات ذات الدلالة الانفعالية، ويظهر في عمر الرابعة القدرة على التعبير اللفظي على الحالة العقلية التي يمر بها شخص آخر مثل كلمات "يفكر" و"يعرف" و"يحلم" و"تظاهر" و"يأمل" و"يتمنى" و"يتخيل" (Baron-Cohen, 2001).

وتوصلت دراسة حماد (٢٠١٧) على أن هناك علاقة تبادلية في منظومة "المعرفة والانفعال والسلوك"، حيث يقصد بجانب المعرفة "نظرية العقل". ونستنتج من نتائج هذه الدراسة أن نظرية العقل توجه وترشد الطفل على ما قد يقوم به الآخر من سلوك وفق قدرته على استنتاج الأفكار والاعتقادات والنوايا التي يتوقعها منه، ويكتسب الطفل هذه القدرة الخاصة بنظرية العقل من خلال المرور بعديد من الخبرات والمواقف الحياتية الحزينة والسعيدة وملاحظة سلوكيات الآخرين والاستماع للقصص والروايات والأغاني والأناشيد والإيماءات والحركات وغيرها من الإشارات اللفظية وغير اللفظية المعبرة عن حالات عقلية معينة مما يسهم في التعرف على الحالات العقلية التي يمر بها الآخر حيث يسهم ذلك بشدة في عزو أي سلوك للآخر إلى حالة معينة عقلية معينة يتوقعها الطفل لدى الآخر أو لدى الآخرون.

وأشارت دراسة (Sung, 2008) أن استخدام الأمهات لأفعال التواصل التعاوني الشاملة والمحددة تكون أكثر مع الأطفال الصغار أثناء التفاعل الاجتماعي، حيث يظهر الأطفال في عمر (٢.٥) سنوات فهماً أكبر للاعتقاد الجسدي مقارنة بالاعتقاد العاطفي، كما أظهرت الدراسة أن أطفال الرابعة أظهروا فهماً للمعتقدات الخاطئة الجسدية والعاطفية والتي كانت مواقفها مستقلة عن أمهاتهم.

من ناحية أخرى فإن قدرة الطفل على التفكير العقلي قد تكون مرتبطة بقدرته على التعاطف مع الآخرين، وذلك لأن الطفل يضع نفسه في مكان الآخر ويشعر

بمشاعره ويقدرها ويفكر في موضوع ما وفق رؤية وتفكير الآخر نحو هذا الموضوع، وتلك التي يشار لها بأنها "نظرية المحاكاة Simulation Theory" (Leudar & Costall, 2009; Frith, 2005). ومن هذا المنطلق فإن الطفل عندما يصل إلى المرحلة التي يستطيع فيها التفكير في موقف ما كما يفكر فيه الآخر فإن ذلك يعني أنه استطاع أن يقوم بقراءة عقل الآخر والتعرف على مقاصده ونواياه ومشاعره وما يفكر فيه وما يتوقع منه أن يقوم به من سلوك، وبالإضافة إلى توقع سلوك محتمل من الآخر وفق الحالة النفسية أو الوجدانية التي يمر بها، كما أن الطفل يمكن أن يفهم الاعتقاد الخاطئ لدى الآخر مما يجعله أيضاً يتوقع سلوك ما بما يتفق مع هذا الاعتقاد الخاطئ.

ومن منطلق اهتمامنا بتحديد بعض العوامل المؤثرة على نظرية العقل يصبح هناك ضرورة للتعرف مراحل تطور نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر.

التساؤل الثالث: ونصه "ما مراحل تطور نظرية العقل لدى أطفال المرحلة المبكرة من العمر؟".

إن دراسة تطور نظرية العقل تعد من أهم الموضوعات التي اهتمت بها دراسات التطور النظري المعرفي، وقد أصبح هذا الموضوع خلال العقود القليلة الماضية من أهم الموضوعات وأكثر الموضوعات حيوية في علم النفس التنموي والتي اهتمت بدراسة تنمية العقل الإنساني من خلال دراسة المشاعر والرغبات والعواطف والأفكار والتصورات والنوايا والحالات الأخرى للعقل (Flavell, 2004).

وقد اختلفت وجهات النظر حول القدرات العقلية ووظائفها، فقد قارن كل من (Scholl & Leslie, 1999) بين نوعين من القدرات المعرفية وهما "الوحدات المعرفية" والمقصود بها نوع محدد من القدرات العقلية الثابتة التي لا تتغير بتأثر العوامل البيئية مقارنة بالوحدات المعرفية التي قد تتغير وفق المتغيرات والعوامل

البيئية والخبرات التي يمر بها الطفل خلال مراحل نموه والتي في إحداها تتأصل القدرة المعرفية "نظرية العقل" والتي تعتبر من القدرات المتغيرة والمتطورة أي القابلة للنمو، حيث تتغير وفق العوامل البيئية المحيطة، كما أوضحا أن المقارنة بين كل من الوحدات المعرفية الثابتة "التي لا تتغير" والمتغيرة "التي تحتوى على نظرية العقل" تمثل المقارنة بين الثابت المعادي للنمو والتطور وبين المتغير الذي يتغير ويتطور مع مراحل نمو الطفل.

وأشارت الدراسات السابقة إلى أن طفل الثانية والنصف من العمر يكون قادراً على استخدام استراتيجيات مخادعة يمكننا الاستدلال من خلالها على تكوين نظرية العقل لديهم، وبالرغم من ذلك فقد توصلت بعض الدراسات السابقة أن الأطفال من ذوي عمر سنة وثلاثة أشهر (١٥ شهراً) يظهرون بعض أعراض تكوين نظرية العقل لديهم من خلال ملاحظة نظراتهم أثناء تطبيق مقاييس نظرية العقل عليهم (الجوالدة، ٢٠١٣؛ Frith, 2005)

أما طفل الثالثة فيتوقع من صديقه أنه سوف يقوم بسلوك ما نحو شيء ما بالبيئة بناءً على اعتقاداته التي يعتقد أنها مشابهه لاعتقاداته، وذلك لأن طفل الثالثة لا يستطيع أن يدرك نظرية العقل لدى الآخر ولا يستطيع أن يدرك مفهوم الاعتقاد الخاطئ لدى هذا الشخص، كما أن طفل الثالثة لا يستطيع أن يتذكر أن اعتقاداته السابقة في احتواء صندوق ما على حلوى قبل ملئه بالأقلام ولكن سوف يعتقد أن الصندوق من البداية يحتوي على تلك الأقلام ولم يحتوي مسبقاً على الحلوى، أما طفل الرابعة فهو يستطيع تذكر اعتقاده السابق في وجود حلوى بالصندوق قبل معرفته بملء الصندوق بأقلام الرصاص (Astington & Edward, 2010).

وتوافقت أراء (Frith, 2005) لما سبق حيث أشار أن طفل الثالثة يفترض أن الآخرين يعرفون ما يعرفه هو ولا يفترض أنهم قد يفكرون أو يعتقدون بطريقة مختلفة عن اعتقاداته ومعارفه أو معلوماته حيث أنه في هذ العمر لا يكون لديه نظرية للعقل تسمح له بمعرفة أن ما يعتقده ويفكر فيه الآخر قد يختلف عما يعرفه أو يفكر فيه هو نحو نفس الشيء.

على سبيل المثال (موقف أحمد واللعبة): إذا سرد لطفل الثالثة موقف ما عن "أحمد" الذي وضع لعبته في درج الكتب وذهب إلى الغرفة الأخرى ثم جاءت أمه لتنقل لعبته الموجودة بدرج الكتب إلى صندوق الألعاب بحجرته، ثم وجه للطفل سؤال: أين سوف يبحث "أحمد" عن لعبته حتى يلعب؟، إنه بناءً عما تم عرضه مسبقاً وعن الخصائص المعرفية لطفل الثالثة فإنه من المتوقع أن يقول: أن أحمد سوف يبحث عن لعبته في صندوق الألعاب. وذلك لأن طفل الثالثة لم يصل بعد إلى مرحلة النمو العقلي لنظرية العقل التي تسمح له بالتعرف على الاعتقاد الخاطئ لدى الآخر ولكنه يتوقع أن الآخر يعرف ويتصرف وفق اعتقاداته الشخصية ووفق ما يعرفه هو.

واختلفت نتائج بعض الدراسات السابقة عن تكوين نظرية العقل لدى طفل الثالثة حيث أشارت إلى أن هذا الطفل يصبح قادراً على معرفة الرغبات والقيم لدى الآخر ولديه القدرة على التمييز والتفضيل والإجابة عن الأسئلة المحددة والمباشرة فيما يتعلق بنظرية العقل وذلك أثناء تطبيق مقاييس نظرية العقل على أطفال هذا العمر (الجوالدة، ٢٠١٣).

وقد تناولت الدراسة الطولية التي أجراها كل من (Lu , Su & Qi, 2008) التعرف على إسهام استخدام الأشخاص المحيطون لبعض الإشارات في بناء نظرية العقل لدى عينة من الأطفال الصينيين، وتراوحت أعمار الأطفال بين (٣ : ٤) سنوات، وتم استخدام اختبارين أحدهما لنظرية العقل (ToM) والآخر للذاكرة الشخصية (AM)، وأشارت بعض النتائج إلى فشل بعض الأطفال في مهام الاعتقاد الخاطئ في اختبار نظرية العقل، و بعد مرور عام أوضحت النتائج إلى أن هؤلاء الأطفال حققوا تقدماً في إمكانية استخدامهم لمهام الإشارات وذلك بعد تلقيهم تدريبات المهام المتعددة للاعتقاد الخاطئ.

كما حاول بعض الباحثين تسهيل مهام الاعتقاد الخاطئ للأطفال الصغار حيث بدأوا في تقديم مواقف حقيقية يمثلها أشخاص حقيقيين حتى يكون أكثر جاذبية

لهم، وبالرغم من أن هؤلاء الأطفال وجدوا أن تلك المواقف جاذبة وشيقة جداً حيث استطاعوا تذكر عديد من المواقف الحرجة منها ولكن وجد لديهم ضعف في إمكانية فهم الاعتقاد الخاطئ لدى هؤلاء الأفراد (Flavell; Mumme; Green & Flavell, 1992). إن معرفة الأطفال للاعتقادات العقلية لدى شخص آخر (الاعتقاد الخاطئ) نحو موقف ما من المواقف تسهم في معرفة الطفل لتوقعات السلوك الذي قد يقوم به هذا الشخص بناءً على هذا الاعتقاد الخاطئ. وأشار كل من (Astington & Edward, 2010) أن طفل الثالثة يري أن الآخرين يرون العالم المحيط كما يراه هو وذلك بدلاً من التعرف على أن الآخرين لديهم أفكار مختلفة عن أفكاره، أما في عمر (٤ أو ٥) سنوات يدرك الطفل أن الأفراد المحيطين يتحدثون ويتصرفون بناءً عما يعتقدونه نحو العالم المحيط وهذه الاعتقادات قد تختلف عن اعتقاداته الخاصة.

إن وجهة النظر التي يراها الطفل نحو موضوع لدى شخص ما تتضمن ترجمة لتغير الإحداثيات الافتراضية المكانية المتمركزة حول الذات واتخاذ مكان الآخر، أي إمكانية التنقل المكاني الافتراضي بين الطفل والآخر (يضع الطفل نفسه موضع الآخر للتعرف عن اعتقاداته ونواياه وأفكاره)، كما أن هذه الترجمة المكانية الافتراضية لا تحدث بمحض المصادفة، ولكنها تظهر لدى الطفل بالتزامن مع زيادة قدرته على حل مهام الاعتقاد الخاطئ وذلك وفق ما تم رصده في التجارب الخاصة بهذه المهمة (Frith, 2005). إن تعرف الطفل الثالثة من العمر على الاعتقاد الخاطئ لدى شخص آخر تتكون لدي الطفل من خلال التمييز بين ما يراه هذا الشخص بالفعل وما يجب أن يراه، وقد أشار كل من (Blooma & German, 2000) إلى عاملين يؤثر كل منهما على معرفة الطفل للاعتقاد الخاطئ لدى شخص آخر وهما: يجب ملاحظة ما لاحظه هذا الشخص بموقف ما، ومعرفة وجود اختلاف بين ما شاهده بالفعل وما يجب أن يشاهده. وهذا يعني أن الطفل يجب أن تساعده قدراته على ملاحظة الآخرين للتعرف على الموقف الفعلي الذي مر به شخص آخر حتى يتوقع منه ما قد يقوم به هذا الشخص وهذا ما يقصد به مهمة

الاعتقاد الخاطئ في نظرية العقل لدى الأطفال، وتلك المهمة تعتبر من المهام الصعبة لأطفال السنة الأولي والثانية من العمر.

واتفق كل من (Blooma & German, 2000) على أن أطفال الثالثة الذين قد يكون لديهم نظرية للعقل ولكن يجب أن تتوفر لهم عدة عوامل للتعرف على الاعتقاد الخاطئ للآخرين ومنها: أن تكون المواقف التي يمر بها الآخرون واضحة إليهم، ومساعدة هؤلاء الأطفال على تذكر العوامل المؤدية إلى الاعتقاد الخاطئ لدى الشخص الآخر، ومثل هذه العوامل تسهم في حسم الخلاف القائم على قدرة طفل الثالثة في تكوين نظرية العقل والاعتقاد الخاطئ، حيث أن عدم وجود أو توفر مثل هذين العاملين قد يؤدي إلى عدم تكوين نظرية العقل لدى طفل الثالثة، وبالرغم من ذلك فقد أشارت الدراسات السابقة إلى أن الطفل لا يستطيع فهم الاعتقاد الخاطئ من الدرجة الثانية إلا إذا كان لديه مستوى مناسب من نظرية العقل.

أما طفل الرابعة فإنه وفق ما توصلت إليه الدراسات السابقة فإنه يبدأ في تكوين نظريته للعقل، حيث أشارت الدراسات إلى أن طفل الرابعة عندما يُسمح له باكتشاف أن صندوق الحلوى يحتوي على أقلام رصاص ثم يُسأل عما يعتقده صديقه في الصندوق قبل النظر بداخله فإن هذا الطفل يتوقع أن صديقه يعتقد أن صندوق الحلوى يحتوي على حلوي وليس الأقلام وسوف يدرك أن صديقه سوف يخدع لأنه لا يعلم بتغيير محتوى الصندوق (Astington & Edward, 2010).

وبالرغم من أن بعض الدراسات أشارت إلى بدء تكون نظرية العقل والاعتقاد الخاطئ لدى الطفل في سن الثالثة إلا أن البعض الآخر أكد على أن تلك القدرة تتكون بعد سن الرابعة، وهذا الاختلاف بين هذين الاتجاهين يرتبط بالمهام المستخدمة لفحص قدرات نظرية العقل، فيمكن أن تكون بعض المهام أسهل من مهام أخرى في التجارب البحثية المطبقة، كما يمكن أن توجد في عمر زمني أصغر أو عمر عقلي أقل، بينما هناك مهام أخرى أكثر صعوبة وتوجد فقط عند عمر زمني أو عقلي أكبر، وبالرغم من ذلك فقد أشارت بعض الدراسات الأخرى بأنه في بداية

السنة الثانية من العمر تنبثق فيها بعض الدلائل على وجود نظرية العقل عن طريق الإيماءات أو التعبيرات اللفظية (الجوالدة، ٢٠١٣).

وبناءً على ما سبق نجد أن هناك تباين في نظرية العقل بين الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين ٣ : ٥ سنوات وخاصة فيما يخص الاعتقاد الخاطئ حيث تفوق أطفال الرابعة والخامسة من العمر عن أطفال الثالثة من العمر في الاعتقاد الخاطئ لدى الآخرين، وبمعني آخر فإن الكبار لديهم القدرة على فهم وتفسير أفعال الآخرين في المواقف المختلفة والتعرف على نواياهم ورغباتهم واعتقاداتهم، ولا يقتصر الوضع على مجرد فهم نظرية العقل لدى الآخرين من المحيطين ولكن قد تتطور نظرية العقل لدى الفرد لتمكنه من التعرف على المشاعر الإيجابية أو السلبية التي يمر بها الآخرين بالمواقف المختلفة.

وفي عمر الخامسة تكون نظرية العقل قد تكونت لدى الأطفال حيث يظهر لديهم فهمًا كاملاً للاعتقاد الخاطئ لدى الآخر ويصبحون قادرين على شرح سبب الاعتقاد الخاطئ لديه، وكشفت بعض الدراسات عن المراحل الآتية لتطور نظرية العقل لدى الأطفال (مقابلة، ٢٠٠٤؛ Frith, 2005):

١. ما بين (١ : ٣) سنوات يستطيع الأطفال التمييز بين الأحداث الفيزيائية والعقلية فهم يميزون بين الأرنب الحقيقي والأرنب المتخيل.
٢. ما بين عمر (٣) سنوات يميز الأطفال بين عمليات التفكير عن العمليات الأخرى فهم يدركون أن الشخص يمكن أن يفكر في شيء دون مشاهدته.
٣. في عمر (٤) سنوات يدرك الأطفال إمكانية وجود معتقدات خاطئة لدي الآخرين وأنها يمكن أن تختلف عن الواقع.
٤. في عمر (٥) سنوات يميز الأطفال بين المعلومات التي يمكن نسيانها بسرعة والتي يمكن الاحتفاظ بها لفترة طويلة.
٥. ما بين عمر (٦ : ٧) سنوات يدرك الأطفال اختلاف الحالات العقلية للآخرين مقارنة بحالتهم.
٦. ما بين (٩ : ١١) سنة يتطور لدى الطفل قدرته على فهم ومعرفة زلات اللسان

عندما ينطق شخص بشيء ما غير مقصود.

كما أن الأطفال الصغار يظهرون السلوكيات التي تعتبر بدايات مهمة لتطوير نظرية العقل، فقد أشارت دراسة كل من (Astington & Edward, 2010) وجود تطور لنظرية العقل وفق العمر الزمني وذلك خلال السنوات الأولى من العمر، ويحدث هذا التطور كالآتي:

١. في عمر (سنتين)، يظهر الأطفال بوضوح وعيًا بمعرفتهم بالاختلاف بين الأفكار المتولدة لديهم في العقل والأشياء بالعالم المحيط، ويبدو ذلك أثناء اللعب التظاهري، على سبيل المثال: التظاهر بأن المكعب الذي بيده هو سيارة، يُظهر الأطفال الصغار قدرتهم على التمييز بين ما يدركونه بالعقل وما هو في الواقع وهذا يتضح من الأفكار حول موضوع المكعب كأداة واعتباره سيارة، وفي هذا العمر، يرى الأطفال وجود فرق بين ما يريدونه وما يريده شخص آخر.
٢. في عمر (٣) سنوات، يتحدث الأطفال عما يعتقد ويعرفه الناس حيث يظن أن الآخرين يعتقدون ويرون كما يعتقد ويرى هو.
٣. في عمر (٤) سنوات يحدث تطور واضح للنمو العقلي للطفل حيث يدرك الأطفال أن الأفكار الموجودة في العقل لدى الآخرين قد لا تكون صحيحة.

ويمكن تحديد مراحل تطور نظرية العقل لدى الأطفال في مرحلة العمر المبكرة فيما يلي:

١- في عمر (١ : ٢) سنوات تظهر لدى الطفل بوادر تكوين نظرية العقل والتي يمكن الاستدلال عليها من خلال مقاييس موقفية مناسبة لهذا العمر والتي تعتمد على الملاحظة لنظراتهم وتوجهاتهم نحو مواقف المقياس.
٢- في عمر (٣) سنوات يتضح تكوين نظرية العقل لدى الطفل، حيث يبدأ في إظهار قدرته على قراءة أفكار الآخرين، ولكنه يظل غير قادر على إدراك مفهوم الاعتقاد الخاطئ، وبالرغم من ذلك يظهر تمكنه من فهم مهام

الاعتقاد الخاطئ بشرط أن يكون الموقف الذي يمر به واضحاً له بالإضافة إلى مساعدته على تذكر العوامل المؤدية إلى الاعتقاد الخاطئ لدى الشخص الآخر، كما تظهر لدى هذا الطفل القدرة للتعرف على الرغبات والقيم لدى الآخرين.

٣- في عمر (٤) سنوات يكون الطفل قادراً على القيام بمهام نظرية العقل، ويظهر تقدماً في إمكانية استخدامه لمهام الإشارات الدالة على اكتسابه القدرة على فهم الاعتقاد الخاطئ.

٤- في عمر (٥ : ٦) سنوات تكون نظرية العقل قد تكونت لدى الطفل حيث يظهر لديه قدرة واضحة على قراءة عقل الآخرين وتوقع وفهم نواياهم ورغباتهم واعتقاداتهم، كما يكون لديه القدرة على القيام بكفاءة على مهام الاعتقاد الخاطئ، ويصبح قادراً على شرح أسبابه بدقه.

يتضح مما سبق بأن نظرية العقل تتكون لدى الطفل في نهاية المرحلة المبكرة من العمر حيث يتكون لديه مدركات يفهم من خلالها بأن الآخرين يمتلكون أفكار أو معتقدات أو نوايا أو رغبات مختلفة عما يمتلكه هو نفسه وأن لكل إنسان حالته العقلية المختلفة عن الحالة العقلية للآخر، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض أطفال مرحلة ما قبل المدرسة يمرون بحالات عقلية قد لا تسمح لهم في جميع الأوقات بتفسير أعمال الآخرين أي أنهم قد لا ينجحون في تطبيق "نظرية العقل" وهذا يتوقف على الحالة العقلية التي يمر بها الطفل كما يتوقف على الخبرات الحياتية والتي قد يكون لها أكبر الأثر في تكوين نظرية العقل لديه، ويمكن الاستدلال على ذلك من أن الطفل في سن الرابعة يكون قادراً على التواصل الاجتماعي من خلال المواقف الحياتية المختلفة والتي يكتسب منها نظريته للعقل في حين أنه قد يكون غير قادر على مهام تلك النظرية فيما قبل هذا العمر.

التوصـيات

١. الاهتمام بتنشئة الطفل الاجتماعية الانفعالية المعرفية والتي تعمل على اكتساب الطفل لنظرية العقل في وقت مبكر.
٢. إثراء البيئة المحيطة بالطفل بالمحفزات والمثيرات المختلفة التي تسهم في تكوين نظرية العقل لديه.
٣. الاهتمام بالعلاقة الانفعالية بين الطفل وبالمحيطين لما لها من أثر على تكوين نظرية العقل لديه.
٤. اهتمام المختصين بتنمية الوعي بأهمية دراسة نظرية العقل لدى ذوي الاحتياجات الخاصة.
٥. التأكيد على ملائمة البيئة التربوية لتنمية قدرة نظرية العقل لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

البحـوث المقترحـة

يقترح دراسة ما يلي:
١. دراسة تنمية قدرة "نظرية العقل" لدى الطفل لأهميتها في التواصل الفعال بينه وبين البيئة الاجتماعية المحيطة.
٢. تضمين دراسة موضوع نظرية العقل في الأبحاث التجريبية.
٣. الاهتمام ببناء مقاييس عالية المصداقية والموثوقية لقياس مستوى نظرية العقل لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة من العمر الذين تتراوح أعمارهم بين (٢ : ٦) سنوات.
٤. دراسة العلاقة بين "نظرية العقل" كقدرة عقلية وبعض العوامل الأسرية لدى أطفال ما قبل المدرسة.
٥. دراسة أثر "نظرية العقل" في تنمية المهارات الاجتماعية لدى أطفال المرحلة

المبكرة من العمر.

٦. دراسة العلاقة بين "نظرية العقل" لدى الأطفال وبعض المتغيرات الديموجرافية.

٧. إعداد مقاييس لنظرية العقل تتناسب مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، مثل التوحديين والمكفوفين والمعاقين سمعياً.

قـائمـــة الـمراجـــع

المراجع العربية:

١. **أبـو دنيـا، ناديـة عبده؛ بديوي، أحمد علي، حنفي، عمرو محمد عبد الرازق (٢٠٢٠). الفروق في الأداء على مهام نظرية العقل بين الأطفال الذاتويين وذوي متلازمة أسبرجر.** *مجلة دراسات تربوية واجتماعية*، ٢٦، ٩٥-١٢٤.

٢. **الإمام، محمد صالح؛ والجوالدة، إمام عيد (٢٠١٠).** *التوحد ونظرية العقل*. **عمان: دار الثقافة.**

٣. **الجوالدة (٢٠١٣). فاعلية برنامج تربوي قائم على نظرية العقل في تحسين جودة الحياة للأطفال ذوي الإعاقات التطورية والفكرية.** *دراسات العلوم التربوية*، ٤٠ (١)، ٣٨٨-٤٠٩.

٤. **الجوالدة، فؤاد عيد؛ الإمام، محد صالح (٢٠١٤). فاعلية برنامج تربوي قائم على نظرية العقل في تنمية مهارات أدائية حياتية لدى الأطفال المعاقين عقلياً في الأردن.** *مجلة دراسات العلوم التربوية*، ٤١ (١)، ٦١-٨٣.

٥. **الحريري، رافدة (٢٠١٣).** *قضايا معاصرة في تربية طفل ما قبل المدرسة*. **عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.**

٦. **حماد، محمد أحمد (٢٠١٧). نظرية العقل والتعاطف المعرفي والوجداني كمنبئات للعدوان الاستباقي وعدوان رد الفعل لدى الأطفال المعاقين سمعياً والعاديين.** *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، ١٨ (٤)، ٦٢٦-٦٧٢.

٧. **الشهري، أشواق علي صالح؛ الخوالدة، ناصر أحمد (٢٠٢٠). أثر برنامج تعليمي مستند إلى المهارات الاجتماعية في اكتساب مهارات التواصل الاجتماعي لدى طالبات الصف العاشر الاساسي في مبحث التربية الوطنية والمدنية.** *مجلة كلية التربية (أسيوط)*، ٣٦ (١١)، ١٤٢-١٧٨.

٨. **الصادق، عادل محمد (٢٠١٢).** نظرية العقل وعلاقتها بالمستويات النمائية لدى الأطفال العاديين. ***مجلة كلية التربية، جامعة الفيوم – كلية التربية، ١٢***،

٢٥٤-٢٠٦.

٩. **محمود، ميسرة حمدي شاكر (٢٠١٧). فاعلية بعض فنيات مهام نظرية العقل في تحسين الخلل النوعي للمدخلات الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد.** *المجلة العلمية – كلية التربية*، **٣٣ (١)، ج١، ٥٠٠:٤٦٠.**

١٠. **مقابلة، بسام محمود قبلان (٢٠٠٤).** *تطور مفهوم " نظرية العقل " لدى الأطفال في الفئات العمرية من "٣ – ٦" سنوات وعلاقة هذا المفهوم بالتفكير التباعدي والذكاء.* **رسالة دكتوراه، جامعة عمان العربية، كلية الدراسات التربوية العليا، الأردن.**

المراجع الأجنبية:

11. **Astington, J. W., & Edward, M. (2010).** *The Development of Theory of Mind in Early Childhood. Encyclopedia on Early Childhood Development.* ***Retrieved: Jan.*** **29, 2020 from:** Social cognition: Theory of the mind in early childhood | Encyclopedia on Early Childhood Development (child-encyclopedia.com)
12. **Astington, J. W., & Jenkins, J. M. (1999). A longitudinal study of the relation between language and theory of mind development.** *Developmental psychology*, *35*(5), 1311.
13. **Baron-Cohen, S. (2001). "Theory of mind in normal development and autism."** *Prisme 34*(1), 74-183.
14. **Baron-Cohen, S.; Wheelwright, S.; Hill, J.; Raste, Y.; Plumb, I. (2001). The "Reading the Mind in the Eyes" Test revised version: a study with normal adults, and adults with Asperger syndrome or high-functioning**

autism. *The Journal of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines, 42*(2), 241-251.

15. **Blijd-Hoogewys, E. M. A.; Van, G. P. L. C.; Serra, M., & Minderaa, R. B. (2008). Measuring Theory of Mind in children. Psychometric properties of the ToM storybooks**. *Journal of Autism and Developmental Disorders, 38*, **1907–1930**.
16. **Blijd-Hoogewys, E. M. A. & Blijd-Hoogeweys, E. M. A. (2008)**. The development of theory-of-mind and the theory-of-mind storybooks. **Doctor of Philosophy**. ***Retrieved: Feb.*** **20, 2020 from:** https://www.rug.nl/research/portal/
17. **Blooma, P. & German, T. P. (2000). Two reasons to abandon the false belief task as a test of theory of mind**. *Cognition, 77*, **B25-B31**.
18. **Charman, T., & Shmueli-Goetz, Y. (1998). The relationship between theory of mind, language, and narrative discourse: an experimental study**. *Cahiers de Psychologie Cognitive/Current Psychology of Cognition*.
19. **Flavell, J. H. (2004). Theory-of-Mind Development: Retrospect and Prospect**. *Merrill - Palmer Quarterly, 50*(3), 274-290.
20. **Flavell, J. H., Mumme, D. L., Green, F. L., & Flavell, E. R. (1992). Young children's understanding of**

different types of beliefs. *Child Development*, *63*(4), 960-977.

21. **Frith, C., & Frith, U. (2005). Theory of mind**. *Current biology*, *15*(17), R644-R645.
22. **Leudar, I. & Costall, A. (2009)**. *Against Theory of Mind.* **Palgrave Macmillan**.
23. **Lu, H.; Su, Y. & Wang, Q. (2008). Talking About Others Facilitates Theory of Mind in Chinese Preschoolers**. *Developmental Psychology, 44*(6), 1726-1736.
24. **Mitchell, R. L., & Phillips, L. H. (2015). The overlapping relationship between emotion perception and theory of mind**. *Neuropsychologia*, *70*, 1-10.
25. **Moses, L. J., & Flavell, J. H. (1990). Inferring false beliefs from actions and reactions**. *Child development*, *61*(4), 929-945.
26. **Perner, J. (1998)**. *The meta-intentional nature of executive functions and theory of mind. In: Carruthers P. & Boucher J. (Eds.). Language and thought – inter disciplinary themes.* **Cambridge: Cambridge University Press**.
27. **Sabbagh, M. A. & Callanan, M. A. (1998). Meta-representation in Action: 3-, 4, and 5-years-old developing Theories of mind in Parent-Child Conversations**. *Developmental Psychology, 34*(3), 491-

502.

28. Sari, O. T. (2012). The theory of mind story books test validity and reabilty for Turkish preschool children. *Social and Behavioral Sciences, 46*, 3017 – 3020.
29. Scholl, B. J., & Leslie, A. M. (1999). Modularity, development and 'theory of mind'. *Mind & language*, *14*(1), 131-153.
30. Sullivan, K.; Zaitchik, D. & Tager-Flusberg, H. (1994). Preschoolers Can Attribute Second-Order Beliefs. *Developmental Psychology, 30*(3), 395-102.
31. Sung, J. (2008). *Individual Differences in 4-year-olds' Theory of Mind: Contributions of the Pragmatic Functions of Collaborative Mother-child Communication* (Doctoral dissertation, University of Georgia).
32. Vesterinen, J. T. (2008). *The ToM storybooks as a tool of studying chidren's theory of mind in Finland.* University of Jyvaskyla, Department of Psychology.
33. Wellman, H. M. & Liu, D. (2004). Scaling of Theory-of-Mind Tasks. *Child Development. 75*(2). 523-541.
34. Wellman, H. M. (2002). Understanding the psychological world: Developing a theory of mind. *Blackwell handbook of childhood cognitive development*, 167-187.

35. **Wellman, H. M. (2011).** *Developing a Theory of Mind. In: Usha Goswami, U., The Wiley-Blackwell Handbook of Childhood Cognitive Development (2 Eds.).* **A John Wiley & Sons, Ltd.**